الأنساقُ القرآنيَّة باعتبار التّرفِ و آثاره
شعرُ حكامِ الأندلس مثالًا

جعفر صادق وهاب
كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء

Quranic patterns considering luxury and its effects
The poetry of the rulers of Andalusia is an example

Jaafar Sadiq Wahhab
College of Islamic Sciences / University of Karbala
Email: sadkjaf194@gmail.com

ملخص البحث

اقتصرت الدراسات الأدبية في السابق على جماليات النص الإبداعي، ولم تتعدَّ لما خلفته الثقافة والمحيط الخارجي من تأثيرات على النص ومُلقيه، ولكن الأنساق في منهج النقد الثقافي فعلت ذلك، فقد جعلت قراءة النص الأدبي لا تتوقف على الجماليات إنما تذهب إلى الثقافة المحيطة بالنص وملقيه ، وما أحدثته من تأثيرات عليهما، وعن طريق الرؤية القرآنية تكون القراءة النسقية الثقافية أكثر أحكامًا وأقرب للحقيقة، وهذا ما فعله النسق القرآني في قراءة ظاهرة الترف في الأندلس من النصوص الشعرية للطبقة الأقرب لظاهرة الترف في الأندلس ، وهم الملوك والامراء فأخرج النسق القرآني الثقافي حقيقة انغِماسهم بالترف في مطويات نتاجهم الشعري، وأوضح كيف سرى الترف من الداخل بتعلُّق قلوبهم بالشهوات ثم استشرى ذلك ليصل إلى مجتمعاتهم وأنظمتهم، وكيف صار الترف سببًا لهلاكهم، كل ذلك قد أبانه النسق القرآني عندما غاص بالدلالة ليطابقها مع الواقع الثقافي؛ ليرسم لنا صورة جديدة لا تنظر إلى الجماليات والفنيات أنها تثبت الحقائق والوقائع للنص ولِمُلقِيه.

الكلمات المفتتاحية : النسق القرآني، الترف، الملوك والامراء، الاندلس.

Abstract

Literary studies were previously limited to the aesthetics of the creative text, and did not go beyond the effects of culture and the external environment on the text and its audience, but the formats in the cultural criticism approach did so. From the effects on them, and through the Qur'anic vision, the cultural systemic reading is more judgments and closer to the truth, and this is what the Quranic system did in reading the phenomenon of luxury in Andalusia through the poetic texts of the class closest to the phenomenon of luxury in Andalusia, they are kings and princes. Their poetic product, and he explained how luxury flowed from the inside through the attachment of their hearts to desires and then spread to reach their societies and systems, and how luxury became a reason for their destruction. Prove the facts and facts of the text and delivered.

Keywords: Qur'anic system, luxury, kings and princes, Andalusia.

المُقدِّمة

الحمدلله ربّ العالمين خالق كلّ شيء ورازقه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد ....

فقد انمازت القراءة النسقية للنصوص الأدبية في مضمار النقد الثقافي عن القراءات السابقة بأنّها قاربت الأدب من الواقع الحياتي، فلم تكتفِ بالوقوف على الجماليات ، أو زج الأدب في ميدان التاريخ وتصنيفه بين الفن والفلسفة، إنما أصبحت تنظر للنص بما هو نص للوصول الى الواقع الكامن خلف الجماليات ومدى تأثير الثقافة المحيطة بالنص ومُلقيه، وبرؤية قرآنية ثقافية ذات جانب تنظيري من طريق منظومة الآيات والسور ، وجانب آخر تطبيقي متمثل بالنماذج والأمثلة، وهذه الرؤية لا تخوض بالاحتمالات ولا تقبل الاستقراء الناقص للأحداث فهي ناتجة من نص محكم قطعي الصدور قطعي الدلالة.

ظاهرة الترف في المجتمع الأندلسي ظهرت في تجليات مادية وأخرى معنوية كثيرة، وكانت الطبقة الحاكمة هي الأقرب لتلك الظاهرة في الأندلس، وقد برزت ظاهرة الترف في الطبقة الحاكمة عن طريق السلوكيات والثقافات ، وما هدر من أقوال وأفعال، فتوجهت الأنساق القرآنية نحو نصوصهم الشعرية ؛ لتنتزع ظاهرة الترف الكامنة خلف جماليات أبياتهم ، عن طريق وضع أبياتهم تحت مجهر النسق القرآني الثقافي حتى يكشف مضمرات تأثير المحيط الخارجي على النص وملقيه، وعلى هذا النهج سار تقسيم البحث ، بمقدمة وتمهيد لمصطلح الأنساق القرآنية ، ثمَّ مبحث أول بعنوان نسق فساد العقيدة ، ومبحث ثانٍ بعنوان نسق أفول النظام وسراب قوته ، ثمَّ قائمة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، تعقبها قائمة المصادر والمراجع، سائلين الله العلي القدير التوفيق والسداد بالعلم والعمل إنه سميع الدعاء .

الباحث

التمهيد

الأنساق القرآنية :

يُعد النسق من المفاهيم المعقدة والمتنوعة، فتفاوتت وتكاثرت المحاولات لتعريف النسق فتوزع تعريفه بين مختلف العلوم ، وكل علم وظفه على شاكلتهِ ومنهجهِ الذي يريد السير عليه، فقد ذكر اللغويون هذا المصطلح وأرادوا به النظام، وجعلوه برزخًا مائزًا بين اللغة والكلام، وفي النقد الحديث وصفوه بالبناء، أو التنظيم الذاتي، والأنثروبولوجيون علماء الإجتماع سمّاه البناء الإجتماعي وعنوا به التنظيم الإجتماعي [١]، وغير ذلك من المقاربات في الشكل والمضمون، ولا نستطيع التوغل في بيانه من غير الرجوع إلى معانيه واستعمالاته في المعاجم اللغوية، "فالنسق من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونسقته نسقا ونسقته تنسيقا، ونقول: انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت[٢]، و" هو أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض"[٣].

و " النحويون يسمّون حروف العطف حروف النسق بأنّ الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا، والنسق: العطف على الأول، والفعل كالفعل، والتنسيق: التنظيم، والعرب تقول لطوار الحبل إذا امتد مستويا: خذ على هذا النسق أي على هذا الطوار"[٤]

" وناسق بينهما: تابع،وكل شيء أتبع بعضه بعضا فهو نسق له، نسق الشيء بعضه في

(١) ينظر التراث وأنساق الثقافة – قراءة في كتاب الأغاني، د. رائد حاكم الكعبي، مؤسسة رسلان للطباعة والنشر، سوريا–دمشق، ط١–٢٠١٨ ، ١٤–١٦.

(٢) يُنظر كتاب العين مادة (نسق)، لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، تح. الدكتور مهدي الخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢ ، ٥ / ٨١.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تح. عبد السلام محمد هارون،مركز النشر – مكتب الاعلام الاسلامي، ط١ ١٤٠٤هـ ،٥ / ٤٢٠.

(٤) لسان العرب مادة(نسق) ،جمال الدين محمد ابن منظور، نشر أدب الحوزة، قم – إيران ١٤٠٥هـ ،١٠ / ٣٥٢.

إثر بعض"[1].

فكان للنسق على صعيد اللغة ثلاثة معاني تنضوي تحتها بقية المعاني اللغوية لهذهِ المفردة وهي : الترتيبُ، والتنظيم، والتساوي المُتوازن ، سواء كانت على نحو العطف أم التوالي ، أو التتابع مؤطرةً بنظامٍ واحد ، ويبدو أنّ المعيار في كون النسق نسقا هو الانتظام بطريقة ما تكون نظاما محددا يتسم بخصائص محددة، تفرق بين نظام وآخر ؛ ولذلك فهو مجموعة من العناصر ترتبط ببعض، إذ " يُكفَلُ حَسن سيره، ويحقق الانسجام بين عناصره على نحو تكون كلًا منظمًا" [2]، إنَّ الإنتظام الذي صار مشابًها للنسق في المعطى المعجمي هو لازمٌ من لوازم الإيجاب في الأشياء المادية ، أو على مستوى الألفاظ المتضمنة لأبعاد معنوية تسوق دلالة ما إلى ذهن المتلقي ، ومن بذرة المعاني اللغوية في المعاجم جاءت شجرة تعريفات النسق في الإصطلاح فتنوعت الرؤى بشأن هذا المصطلح ، وتباينت بين ضيقٍ واتساع، فكان النسق في التراث النقدي والبلاغي عند العرب مُختلفًا عن مفهومهِ في الدرس الحديث عند جماعة الشكلانيين ، و البنيويين ، والسيميائين ، وكانت نظرية التلقي برزخًا فاصلًا لمفهوم النسق فيما قبلها وبعدها، فالنسقُ كان قبل نظرية التلقي منحصرًا في النص الإبداعي وجمالياته ، وأما بعدها فاتسع ذلك المفهوم وأصبح تفاعلهُ بين النص ومُلقيه ومحيطها [3]، "فيتجه النقد المعاصر إلى محاولة التخلص من أحادية الرؤية النقدية وتقديس المنهج التي اتسم بها نقدنا العربي على مدى حقبة زمنية طويلة ، فالأدب ليس مجرد وثيقة يمكن الزج بها في مستنقع التاريخ وتصنيفها في دائرة الفن أو الفلسفة، بل إنّ الأدب تصوير لأشكال مختلفة

(١) وينظر : القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٨، ٢٠٠٥م. ٣، / ٢٨٥ ، / تاج العروس، محمد مرتضى الواسطي الزبيدي، تحَ.على شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١ ١٩٩٤م ، ١٣ / ٤٥٧.

(٢) السياق والأنساق – ما السياق وما الأنساق، محمد عبد الكريم الحميدي، جامعة المدينة العالمية – قسم اللغة العربية، ٢٠١٣ ، ٢١.

(٣) ينظر الأنساق الأسلوبية المُهيمنة على السور القرآنية – دراسة تطبيقية على السور المكية، خالد توفيق مزعل الحسناوي، إطروحة قدمها إلى مجلس كلية الآداب جامعة الكوفة لنيل شهادة الدكتوراه – ٢٠١٢م، ٦-٢٤ .

من الحياة ويجب أن ننظر إليه على أنّه وليد بيئة وذو خصائص مركبة، ومستويات ثم أبعاد متنوعة مندمجة في صعيد واحد، فالنص الأدبي خطاب يملك آلية داخلية تربطه بالسياق الذي أنتجه "[1] ودلالة النسق هي " نتيجة لتضافر مؤشرات كثيرة خارج النص هي أفضل ما يضيء مبهمات داخل النص، وفقًا لنظام تراتبي معين يشكل نسقًا ما، وكل ذلك جرى عبر مسار تراكمي شهدته الدراسات النقدية للنصوص بدءًا من التموضع في الشكل مرورًا بالتمحور حول البنية ، وانتهاءً بالخروج إلى العوامل الخارجية ، وآخرها الانتباه إلى العوامل الثقافية ؛ لتكون أنساق الثقافة هي المُشكِّلة لأنساق النص"[2]، فعند ذلك توجهت أنظار أصحاب النقد العربي الحديث إلى مصطلح النسق بعدما احتل عند الدارسين الغربيين مكانًا أثيرًا، ولعل أفضل من شخّصه من الغربيين هما (هارتمان) ، و(لاريد) فالنسق استنادًا إليهما هو : ذلك "الكل والذي يتكون من أجزاء متداخلة فيما بينها ومعتمدة على بعضها البعض" [3]، وشخّصَ " (واران) النسق : بأنّهُ مجموعة من الأشياء ، أو الوقائع المترابطة فيما بينها بالتفاعل ، أو الاعتماد المتبادل، وقال (انجلز) : النسق عبارة عن مجموعة أجزاء أو عناصر الكل، وهناك علاقات وتفاعلات قائمة بين هذه العناصر، وهي تعمل معا لكي تؤدي وظيفة معينة، وعرفهُ (ولمان) قائلا : هو مجموعة من العناصر لها نظام معين، وتدخل في علاقات مع بعضها البعض، لتؤدي وظيفة معينة بالنسبة للفرد [4]، أما إلفات النقاد العرب فكانت بعد محاولة كمال أبي ديب إلى مصطلح النسق وطبيعة عمله في النص الأدبي، والذي أشار إلى ذلك كتابهِ (جدلية الخفاء والتجلي)، كما أشار إلى عناية الغربيين بالأنساق في دراساتهم النقدية لاسيما البنيويون والشكلانيون، غير أنّ هذهِ الإلفاتةَ لم تكن لترتقي

(١) الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي – نسق القبيلة أنموذجا، بوشمة معاشو، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد المعاصر، جامعة جيلالي ليابس– كلية الآداب واللّغات والفنون – قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٨-٢٠١٩، ١٦.

(٢) الدلالة النسقية (تأطير نظري)، دكتور أمجد حميد الفاضل، بحث منشور في مجلة الباحث، جامعة كربلاء–كلية التربية–قسم اللغة العربية ٢٠١٧، ١٦.

(٣) الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي – نسق القبيلة أنموذجا، ٥٦

(٤) الطابور الخامس، أحمد جابر حسنين، دار الكتب المصرية – الناشر مجموعة العربية للتدريب، القاهرة– مصر، ط١-٢٠١٣، ١١٤.

إلى مستوى التنظير المستقل، بل هي عبارة عن إشارات ساقها أصحابها على غرار النقاد الغربيين[١]، وعرفت الدكتورة يمنى العيد النسق بأنهُ : " ما يتولد عن اندراج الجزئيات في سياق، أو هو بنيويًا ما يتولد عن حركة العلاقات بين العناصر المكونة للبنية، باعتبار أنّ لهذه الحركة انتظامًا معينًا يمكن ملاحظته وكشفه، كأن نقول إنّ لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها، أو إنّ العناصر المكونة لهذه اللوحة من الخطوط والألوان تتألف على وفق نسق خاص بها "[٢]، تراصف الجزئيات المتوالي في نظام التراصف يحقق النسق، وطابع تلك العلاقات ضمن بنية محكمة قد يولد نسقًا ؛ لأنّ حركة العناصر ناتج عن نظام متراصفٍ في أجزائهِ ، وضمن سياق يُخضعهُ داخل حركة النظام النصي أيضًا، فيكون ناتج النسق هو النظام المتراتب المتوازن، وذا بؤرة النسق في هذا المستوى.

فظهر حين ذلك عند النقاد العرب مصطلح (النسق) بشكل مستقل وواضح تقريبًا، وكان ذلك الوضوح متبلورًا عند أحمد يوسف وقد وطنَّ ذلك الوضوح في كتابهِ القراءة النسقية، فعرف النسق قائلًا : " إنّ ما يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها ويربط بعضها ببعض هو ما يُطلق عليه النسق، وإنّ أي اختلال في هذهِ العلاقة بين العناصر تفقد النسق توازنه، وتغير معالمه، وفي المقابل قد يشكل كل المستويات نسقًا داخل النسق العام للسان، وحينها يمكن الحديث عن النسق الصوتي، أو النسق الصرفي.... "[٣]، و"عليه، يمكن تحديد المستويات اللسانية التي تسهم في بناء النسق الكلي، فلكل مستوى نظامه الخاص، وقوانينه الخاصة"[٤].

(١) ينظر جدلية الخفاء والتجلي – دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط١–١٩٧٩م ، ١٠٨–١٠٩.

(٢) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط٢–١٩٩٩ ، ١٩٣.

(٣) القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة، أحمد يوسف، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط٢٠٠٢ ، ١١٩–١٢٠.

(٤) النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، قارة مصطفى نور الدين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لكلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، ٢٠٠٩–٢٠١٠ ، ٧٨.

لا يقتصر الأمر في بيان هذهِ النظرية [النسق]على آراء هذهِ النخبة من النقاد العرب، فإنّ غالبية هؤلاء كانت نظرتهم للنسق من باب النص الدلالي، ولكن هناك من نظر للنسق من زاوية الأنثروبولوجيا والإجتماعي"، فربط بين النصوص العربية الإبداعية والأنساق الثقافية ، والإجتماعية التي أدت إلى استقرار تلك النصوص على منحاها البنائي والدلالي المتقارب، وجعلها مهيمنة على حضارة الكلمة في الثقافة العربية على مر العصور ..... ويتعامل النقد الثقافي مع الأدب ليس بوصفه نصًا، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضمر أكثر مما تعلن" [1] ، وكان على رأس بوابة النسق الثقافي الدكتور عبدالله محمد الغذامي والذي أصّلَ لهُ ووجههُ في كتابهِ (النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية)، واطروحة الغذامي تعد البؤرة التي ينطلق منه بحثنا هذا، والتي" تبلورت فكرتهُ لاختراع الدلالة النسقية عن طريق تَضَمّن النص الإبداعي لشقين دلاليين، الأول : هو الدلالة الصريحة التي تقع في نطاق الجملة النحوية ، والثاني : الدلالة الضمنية التي تقع في نطاق الأدبية ، ومع قيمة الدلالة الضمنية فأن الغذامي لا يعول عليها كثيرًا لذا راح يؤسس له دلالة ثالثة وهي الدلالة النسقية التي هي حاصل جمع الدلالتين السابقتين الصريحة ، والضمنية "[2]، فينطلق الغذامي من مُتبنيات غيرت في الثقافة ودلالتها في الطبيعة البشرية، وما يتأثر فيهِ الفرد من أنساق ثقافية تكون خارج النطاق التراتبي للحياة التي يعيش فيها ذلك الفرد، فلذلك تنصقل للفرد طبائع وثقافات وأجواء غير الذي يحتويها، فيولد لهُ شخصية أُخرى تُأطُرها تلك الظروف وتلك الأنساق، وهذا ما أطلق عليهِ الغذامي بمصطلح (المؤلف المُزدوج).[3]

فسارتْ قراءة النص الأدبي بحلتها الجديدة على غرار قراءة الغذامي ومن سبقهُ من الغربيين، فطُرحت أبحاثًا كثيرةً في القراءة النسقية، ومنها فكرة النسق القرآني، لكن هناك

(١) يُنظر النسق الثقافي، يوسف عليمات، عالم الكتب الحديث، أربد-الأردن، ط١-٢٠٠٩ ، ٢٢-٢٣

(٢) ينظر ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي، د. سامي شهاب أحمد، دار غيداء للنشر، ط١، ٢٠١٢م ، ١٩٩.

(٣) النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط٣ -٢٠٠٥، ٧٥-٧٦.

برزخ مفصلي في قراءة النص الإبداعي برؤية النسق القرآني عن قراءتهِ بالأنساق الأخرى، فالأنساق التي طُرقت لقراءة النص مُحتملةٌ في تراتبيتها لنظام الأحداث والقرائن للخطأ والصواب، أما قراءة النص الأدبي برؤية النسق القرآني فلا تحتمل هذا الترجيح ؛ لأنّ القرآن بنظامهِ المحكم قطعي الصدور قطعي الدلالة[١]، وكانت الدراسات في هذا المضمون شحيحة جدًا فعمدَ الباحث لهذهِ الدراسة.

فتعريف النسق القرآني ينمو من البذرة نفسها التي نشأت منها تعريفات النسق ، وهي معاني النسق بالمعاجم اللغوية التي قدمنا لها سابقًا، وهو ليس بمعزلٍ عن تلك المعاني التي تتمحور وتصب في فكرة أنّ النسق : هو النظام والترتيب ، والتوازن والتناسق على نحو التوالي والتتابع، وقد عُبر عنه " بأنهُ التسلسل المعنوي بين الأغراض، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض في سياق الآيات القرآنية" [٢] ، فهو "انتظام الألفاظ القرآنية في نظام مترابط المعنى، حسن التأليف، محدد الأهداف، على وفق ما يقتضيه سياق الكلام، ليكّون نصا قرآنيا ينتقل بالمتلقي من موضوع الى آخر من غير تنافر، أو تضاد في التلقي."[٣]، وحتى المصطلحات التي عُدت مقاربة للنسق القرآني نحو : التضايف ، والبنية ، والنظم فهي عناصر تدخل في تكوين النسق ، وليست مقاربة لهُ توقع مُتقصيها بالإشتباه مع النسق.

إنَّ الوظيفة التي يؤديها القرآن الكريم في منظومة النسق يعجز عنها أي نظم نسقي؛ لأنَّه

(١) هذه القاعدة تتحقق إذا كان تخريج الدلالة موقوفًا على الله والراسخون بالعلم [محمد وآل محمد الكرام]، وذلك قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة الغدير حين أوقف تفسير القرآن على محمد وآل محمد قائلًا ، والله لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده ومصعده إلي وشائل بعضده ومعلمكم أن من كنت مولاه فعلي مولاه..... وإن عليًا والطيبين من ولدي من صلبه هم الثقل الأصغر والقرآن الثقل الأكبر فكل واحد منبئٌ عن صاحبه وموافقٌ له . / خطبة الغدير النص الكامل ، محمد باقر الأنصاري، دار الفكر ، ٤٠.

(٢) ينظر مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل ابو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٥هـ ، ٨٢

(٣) ينظر النسق القرآني – دراسة في المفهوم والوظيفة، دكتورة نور مهدي كاظم، جامعة وراث الأنبياء كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم، مجلة العميد – المجلد التاسع – العدد الخامس الثلاثون، ٢٠٢٠ ، ٥٤–٥٥

" يحكم العلاقة بين المفردات القرآنية المكونة للنص القرآني، بمعنى يحكم النظام الداخلي الدلالي للنص الذي يعبر عن نظام خارجي له "[1]، ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هُذَا القرآن لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هُذَا القرآن مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾[2]، فينماز بالأسلوب من حيث طرح الدلالة والمفهوم وتوظيفها بشكل دقيق .

وحداثة المصطلح مع أهميته في الوسط النقدي جعلت من القضايا التي تعرض لها قليلة ومعدودة، من حيث الاقتراب من المفهوم والمنهج والابتعاد، ومنها "النسق القرآني دراسة اسلوبية، وهو كتاب من تأليف الدكتور محمد أديبّ محمود الجاجي، ودراسة أخرى بعنوان النسق القرآني ومشروع الانسان نحو قراءة راشدة في أصول الأصول، كتاب ألفه الدكتور جاسم السلطان، و بحث توازي الضمائم في النسق القرآني ، نشره الدكتور هاني صبري آل يونس ، والباحث عبد الله خليف الحيالي"[3] ، وخصوصية النسق المفهومي القرآني، بحث لمحمد المنتار، ووحدة النسق القرآني في السور القرآنية – رشيد المحمداوي، وكذا النسق القرآني وأثره في الترجيح (سورة الماعون نموذجًا)، د.أحمد نوفل، الإعجاز في نسق القرآن (دراسة في الفصل والوصل للمفردات)، ومشتقات (الصّرخ) في النسق القرآني للدكتور أحمد عبد الموجود، هذا الدراسات وغيرها وظّفت النسق القرآني في القضايا اللغوية والبلاغية ، والدرس الحديث من النقد، ولكن دراستنا هذه تطمح لتوظيف النسق القرآني في مجال النقد الثقافي، إذ يكون للنسق القرآني الرؤية في قراءة النص ، ومُلقيه والواقع المحيط بهما والذي نُسجَ منه ذلك النص، وما يَترتّب عليه من قضايا أو ظواهر، فواحدة من هذه القضايا ، أو الظواهر التي أطّرها القرآن الكريم بنظامٍ محكمٍ متناسق بين النص الذي شغلته والواقع المحيط بها هي قضية الترف، وقد شعّبَ لنا القرآن الكريم كثير من مختلجات هذهِ الظاهرة، فذكر لنا : نشأتها وأسبابها ، ومقتضياتها ومظاهرها ، وعواقبها،

(١) النسق القرآني – دراسة في المفهوم والوظيفة ، ٦٩.
(٢) سورة الإسراء ، الآيتان : ٨٨-٨٩.
(٣) ينظر النسق القرآني – دراسة في المفهوم والوظيفة ، ٥٢-٥٣

وهذا ما سنستقرِئُهُ في نصوص الشعراء الملوك ، والأمراء في الأندلس ، وبرؤية نسقية قرآنية ثقافية، كما نحاول توظيف الجانب التطبيقي للبحث عن طريق نسقية الآيات القرآنية في السورة الواحدة والسور المتعددة، وتفعيل الجانب التطبيقي عن طريق سرد النصوص ومقابلتها بالنماذج والأمثلة القرآنية، فقد حكى لنا القرآن الكريم عن هذهِ النماذج التي جسّدت ظاهرة الترف وأعطى لنا الأسباب والعواقب ، والمظاهر بمنظومةٍ لغوية متانسقة مرتبة، وبصورة حيّةٍ تنبثق في أذهان مُتلقيها الواقع الأنثروبولوجي الإجتماعي الذي حوتهُ تلك النماذج، وما أضفتهُ عليهم صفة الترف من سلوك لا إنساني تُهمشُ فيه نعم الله فتصبح مدعاةً للطغيان والفساد وإستجلابًا لنزول العذاب.

وكذا نلاحظ كيف تحولت هذهِ الصفة عندهم من مظاهر خارجية متوغلةٍ في أبسط تفاصيل حياتهم ، وكيف أثّرت صفة الترف في سلوكهم وآيديولوجياتهم عن طريق الرؤية القرآنية الثقافية، فما أضمرهُ السلوك أخرجتهُ فلتات اللسان.

كما هو متداول فإنّ نموذج محاكمة النص يقوم على ستة قواعد هي : النفعية ، والتعبيرية، والمرجعية ، والمعجمية، والتنبيهية، والشاعرية (الجمالية) [١] ، وأضاف لها الغذامي العنصر السابع وسماه العنصر النسقي ومعه الوظيفة النسقية ، "وعبر العنصر النسقي وما يفرزه من وظيفة نسقية لا يقف على حدود اللفظة والجملة ، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الإستقبال"[٢]، بل تعدت تلك العلاقة لتخرج لنا من الواقع المحيط بالنص والمُلقي ما يسمى بالدلالة النسقية ، والتي " ترتبط في علاقات متشابكة مع الزمن لتكون عنصراً ثقافيًا أخذ بالتشكيل التدريجي إلى أن أصبح عنصرًا فاعلًا "[٣] ، إذ كانت رؤية الغذامي [٤] عن طريق تقصي الأنساق الثقافية محتملةً للترجيح وبالإستقراء الناقص

(١) ينظر النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية ، ٦٤-٦٥.
(٢) المصدر نفسهُ ، ٦٩.
(٣) المصدر نفسهُ ، ٧٢.
(٤) من مُنطلق هذهِ القراءة الجديدة القائمة على تقصي الأنساق المضمرة في النصوص الأدبية لا على السردي الجمالي فقط قد أطلق الغذامي مفاجأتهُ وحكمهُ تحت ذريعة النقد الثقافي الكاشف لأنساق النص المضمرة بأن المتنبي (شاعر عظيم أم شحاذ عظيم)، وكذا الأمر بالنسبةِ لإبي تمامٍ و نزار قباني، وأودنيس

للأحداث والوقائع، ستكون بالمقابل قرآءة ورؤية القرآن الكريم للأنساق المضمرة الموجودة في النصوص والمستنبطة [الأنساق] من نظامِ مفاهِمِهِ المحكمة ، وتوازنِ آياتِهِ القطعية بصدورها والقطعية بدلالتها، ومن عدسةِ مجهرِ هذا النظام سيتضح لنا في الفصول القادمة أن هالة المترفين التي جسدوها في نصوصهم، وهذا ما سيتبين في قادم البحث، أن هذه الهالة ما هي إلّا صفةٌ مفرَّغةٌ من معانيها الحقيقةِ فيهم، وما هم فيه من الترف عبارة عن مجموعة من العادات ، والسلوك المقيت المُتجسدةِ بالشهواتِ ، والتفريطِ والصفاتِ البعيدةِ والتي لا تمُتُ لصفة النُبل والرفعةِ بأي صلة، وكيف يبلور لنا القرآن الكريم هذهِ القضية برؤية تجعلُ هذهِ المقدمات المقيتةَ تعود عليهم بنهاياتٍ مهينةٍ ومُخرجةٍ عن هذهِ الصفة ؛ وذلك لأنّ ما في نصوصهم من جماليات منافية لدلالتها في واقعهم المضمر المُتمثل بالعنصر النسقي والذي بدورهِ يقوم على ركيزة خاصة لقراءة النسق المضمر في ذلك النص عن طريق نافذة النقد الثقافي ، والذي يجمع بين دراسة النص الإبداعي مع المحيط الخارجي المؤثر بذلك النص ومُلقيه، ويتم ذلك تحت مجهر الأنساق القرآنية عن طريق نظامها المُحكم والمبين ؛ حتى تظهر لنا رؤية وقراءة جديدة تحاكي واقع النص الإبداعي وتبرز لنا حقائق ذلك النص، ومن هذا المنطلق سيتم بسط القول في بقية التفاصيل .

المبحث الاول : نسق فساد العقيدة

حينما تلجُ بواعث الترف إلى وعاء الإنسان المُتمثل بالقلب فتكون النتيجة سلوكًا مترفًا إنبثق من الجوانح ليتحكم بالجوارح، وهذا ما شخصته النسقية في نموذج فساد العقيدة ، فانغماس آيدولوجيات الملوك ، والأمراء في باحة الترف وظهورها بتمثلات جمالية لسانية زائفة هي من شكلت لباحث النسق نسق فساد العقيدة.

شموخهم بالترف أدى إلى بعض التسافل العقدي الآيديولوجي في عالم الميتافيزيقيا الغيبي، فنسقية الترف أدت بهم إلى تقحم الثوابت ، والتكبر على حتمياتها المفروضةِ على كل إنسان ، أو ما يسمى بـ(التكبر على الغيب) : ومنها الموت

ودعاوية في الحداثة التي لا تؤدي إلاّ إلى النسقية والرجعية.

فنرى المعتمد يأمر بأبيات تحتضن فخرهُ بنفسه ، وصفاتهِ أن تكتب على قبره فيوحي بهذا الأمر لقارئه أنّ مفاخرهُ أعلى من أن ينالها الموت، فيشمخ قائلًا :

قَبرَ الغَريب سَقاكَ الرائِحُ الغادي ... حَقّاً ظَفَرتَ بِأَشلاء ابن عَبّادِ

بِالحِلمِ بالعِلمِ بِالنُعمى إِذِ اِتّصلَت ... بِالخَصبِ إِن أَجدَبوا بالري لِلصادي[1]

ومحرك الترف يدفع بقلبهِ نحو التفاخر والتعالي ؛ ليرى نفسه أنّه أعظم من أن يحمل على أعواد:

نَعَم هُوَ الحَقُّ وَافاني بِهِ قَدَرٌ ... مِنَ السَماءِ فَوافاني لِميعادِ

وَلَم أَكُن قَبلَ ذاكَ النَعشِ أَعلَمُهُ ... أَنَّ الجِبال تَهادى فَوقَ أَعوادِ[2]

قانون الغيب وضعهُ واسطة الغيب والشهادة محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم) : "كفى بالموت واعظا"[3]، فمزلق الترف حين طبع على القلوب جعل منها مصدّات لحجب الحقائق عنهم ، وهذا ما أظهرته قراءة النسق القرآني في قولهِ تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[4]، فجعلوا الحياة الدنيا بما تحويه من ترف وسيلتهم العقدية التي يركنون إليها ويطمئنون بها ، فبنى لنا بواعث هذا الفساد شخصية متجذرةٍ الأنا ومشغوفةً بالترف الخالد ، وهذه السمات كانت واقع الخطاب الشعري اللساني عند شعراء هذهِ الشريحة ومن لف لفهّم، ومن ثم صارت هذهِ الخطابات نموذجًا سلوكيًا ظهرت لنا عن طريق النسق القرآني، وكان الجواب القرآني في قولهِ تعالى : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾[5] مجهرًا كاشفًا لمضمرات نسق فساد العقيدة ، فالجماليات تُنبيء عن أصالتها حين دخولها في النظام القرآني

(١) ديوان المعتمد بن عباد (ملك أشبيلية)ت٤٨٨هـ، تح ، الدكتور حامد عبد المجيد والدكتور احمد احمد بدوي، مراجعة الدكتور طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، ط٢، ١٩٩٧م.،٩٦ (البسيط).

(٢) ديوان المعتمد بن عباد ، ٩٦

(٣) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، قم، ايران، ط١، ١٣٧٥هـ.، ٤، ٣٥٧٦.

(٤) سورة يونس ، الآية : ٧

(٥) سورة النساء ، الآية : ٧٨.

النسقي.

ومن البواعث الأخرى التي ولدت نسق فساد العقيدة والذي شخَّصه القرآن الكريم (القلوب العُمي):

الذين يرون سوء عملهم حسنًا، والتي عرَّفها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾، فمظاهر الترف توسِّع بؤرة البصر ليستلذ صاحبها بالنظر، ولكنّها تُضيِّق وعاء البصيرة ليكون صاحبها متخبطًا عن الحكمة كالأعمى المتخبط عن طريق الصواب، وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]، فموازين الجمال تُقلب بسبب نسق فساد العقيدة الذي طبع قلوبهم وجعلها عمياء، ونرى بذلك المعتضد وهو يضع حديقةً في دارهِ المترف ليست بحديقةِ زهورٍ ، أو باحةٍ خضراء إنّما هي حديقةٍ جمع فيها رؤوس أعدائهِ وأشلائهم وكلّ من لا يحب، وجعلها لأوقات أنسه فإنّه يستلذ للنظر إليها وتبتهج نفسهُ بها ، و تنتابه موجة عارمة من السعادة عندما يتأمل بها![2]، وقد وصفها في أبياتٍ قائلاً :

زهر الأسنة في الهيجا غدت زهري ... غرست أشجارها مستجزل الثمر

ما إن ذكرت لها من معرك جلل ... إلا تجللته بالصارم الذكر

حتى غدوت وأعدائي تخاطبني ... يا قاتل الناس بالأجناد والفكر[3]

خرج معنى الفساد المنغمر بالقلب إلى الشدقات، فترجم أبيات قد تبدو ذات جمالية في تناسق نظمها ، ولكن الحقيقة النسقية القرآنية فضحت تلك الجمالية بالحقيقة الواقعية التي صنعها الترف في القلوب فأفسد العقيدة السلمية، فعندها أصيبت القلوب بالعمى، فالدماء والبشاعةُ ساوت الجمال و الحياة عندهم ، واستوت البصيرةُ بالعمى فنسخوا بهذا السلوك

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٦.

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري التلسماني، تح.الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان، ١٩٦٨م.، ٥ / ١٥٣ . / وينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تح.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ط١–١٩٧٩م،١، ٢٧–٢٨.

(٣) الحلة السيراء، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي المعروف بابن الأبار، تح.حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢— ١٩٨٥م ،٢/ ٤٥ .(البسيط).

المنافي للسلوك القرآني قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾[1]، وهذا ما وظّفه النقد الثقافي وأحيا به الأدب من جديد إذ جعل القراءة الأدبية تلج في المضمرات وتغوص في الحقيقة السلوكية ؛ لتظهر لنا حقيقة انطباق الملقي بواقعهِ الخارجي والذي بدورهِ أنتج النص، وهذا ما جسَّده الغذّامي بقوله : " المتنبي شاعر عظيم أم شحاذ عظيم"[2]، وهنا قد شخصه لنا النسق القرآني بدلالتهِ بأنّ الملوك والأمراء شعراء عظام أم متصنعين لهذهِ العظمةِ، وهل جمالياتهم الأدبية حقيقة منطبقةٌ مع سلوكياتهم وثقافاتهم، أو تلك الجماليات لغرض التسويق بين الناس فقط؟، فما حاجة المترف للشعر كما أشارت نازك الملائكة لذلك بقولها : " قد يكون الشعر للإنسان السعيد ترفًا ذهنيًا محضًا"[3]، فمظاهر الترف الخارجية بتراكمها المتسق على وعاء القلب ؛ أفسدت أيديولوجيات الملقي وصقلت منه نسقًا مترفًا يرى الزوائف والقبائح جماليات، وهو المصرُ [المعتضد] على أنَّ الظلم والفتك بالناس من الأفعال الحسنة، ويردف قائلًا :

من للشجاعة والكرم	إلا الظلوم المظلم
من لست تعدم عنده	غير التبدل والعدم
أحيا المكارم والعلى	وأقام مناد الهمّ
يلقى العداة وسيفه	قد بط هامات البهم[4]

باعث عمى القلوب جعل الموازين عندهُ معكوسةً، ومن وظائف العمى أن ترى الظلام نورا، فقد روي عن بشاعتهِ وفساده أنّه دخل عليه غلامٌ مرّة دون استئذان، أو طلب فأمر بإعدامهِ[5]، في هذا الموقف مع النص السابق مضافًا عليه محيط المجتمع الملكي جعل منه يافطة للترف بكل سلوكياته ؛ فأنتج لنا نصًّا مشحونًا بفساد العقيدة برؤية قرآنية

(١) سورة فاطر ، الآية : ١٩.
(٢) النقد الثقافي–دراسة في الأنساق الثقافية ،٩٣.
(٣) ديوان نازك الملائكة (شظايا ورماد)، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت – لبنان، ١٩٩٧ ، ٢ / ٣٠٩.
(٤) ديوان المعتضد بن عباد، تح ، الدكتور محمد مجيد السعيد، مجلة المورد، الجمهورية العراقية، المجلد ٥، العدد٢، ١٩٧٦م.، ١٠٧.(كامل مجزوء)
(٥) ينظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ٥ / ١٥٤

متوازنة تكشف للمتلقي حقائق تلك المضمرات التي أنتجتها القلوب العُمي التي بعثت على تكوين نسق فساد العقيدة في أوعية المترفين، هذه التراتيبة في فهم الدلالة النسقية جعلت من القرآءة الأدبية أكثر دقةً ومصداقية في قراءة النصوص وملقيها ؛ لأنَّ النقد في هذا المنهج ذو نظرة مركبة إذ تجمع بين بيئة النص وخصائص المُلقي والنص، وبعد أن كان المنهج النقدي أحادي الرؤية مُقتصرًا في قرآءتهِ على الجماليات والفلسفة والفن بعيدًا عن الحياة والواقع المحيط بالإنسان والذي أجبره على إنتاج هذا النص [١].

ولعل بؤرة البواعث لنسق فساد العقيدة عند شريحة المترفين من الملوك والأمراء هو (وهن العلاقات):

والمراد من وهن العلاقات : هو الإعتماد والاتكال على الزوائل المتمثلة بالأشخاص والمقامات والملذات، فعندما يبني الإنسان جسر علاقاتهِ على هذهِ الزوائل يكون هذا البناء من أوهن الأبنية ؛ لأنّه محدود المنفعة، وتتلاشى هذهِ المنافع بتلاشي السلطان والجاه الذي يملكه الإنسان ، وأجمل من رسم صورة هذا الضرب من النسق هو قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢].

من لطائف هذه الآية المباركة أنَّ الوهن الذي يتحدَّث عنه ربّ العزةِ ليس عن الشباك التي تنسجها العنكبوت بخيوطها الدقيقةِ والنحيفةِ في هيئتها، فقد أثبتت الدراساتُ الحديثة أنّ من أقوى المواد التي تستخدم في صناعة الدروع المضادةِ للرصاص هي خيوط العنكبوت، فقد نجحت إحدى الشركات الكندية في استخدام مادة خيوط العنكبوت لصناعة الدروع، كما أكدت أنَّ هذه المادة الحريريَّة المُستخلصة من خيوط العنكبوت هي أقوى بخمسة أضعاف ، وأمتن من الفولاذ إذا ما قورنت وزنًا بوزن [٣]، ومن هذا المنطلق

(١) ينظر الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي – نسق القبيلة انموذجا ، ١٦.
(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤١
(٣) ينظر خيوط العناكب لتصنيع الدروع، بحث من قبل موقع بيان (فكر وفن)، بتصرف ١٣-٠٨-٢٠٢١م.

نستنتج أنّ المثل القرآني في الضعف ليس بهزالة ضعف الخيوط ، إنّما هو ضعف العلاقات في المجتمع العناكبي، إذ إنَّ كلمة (بيت أو بيوت) لا تعني المنزل، إنَّما تعني العلاقات بين العناكب، فقد أثبتت دراسات المجتمعات الحيوانية ومنهم الباحثون في جامعة (هامبورغ الألمانية) أنّ أنثى العنكبوت تأكل العنكبوت وتتغذى عليه بعد التزاوج به وتلقيحها، وعندما تفقس بيوضها تتغذى صغار العناكب على العنكبوتة الأم[1]، وهذا هو الوهن الذي أشار إليه القرآن الكريم، فضعف العلاقات واضطرابها في البيت العنكبوتي هو الذي أسس نسقية الوهن في هذا البيت، فالقرآن ضرب لمن اتخذ من دون الله أولياء أنّ ولايته هي مصيدةُ الوهن والتي لا ترتكز على أي حقيقة، وهذا ما أظهرته النسقية القرآنية في فلتات لسان شعراء الملوك والأمراء في الأندلس، إذ نرى أنّ الملك يوسف الثالث يسردُ أبياتًا نتجت عن ملحمةٍ من وهن العلاقات، يقول فيها :

يا غافلًا غره ما جره الزمن ... هديت إن الليالي كلها محنُ
لا تغترر بسرور زائل فله ... بعد السرور إذا دبرته زن
كم قد أهان عزيزًا بعد عزته ... وكم أعز ذليلًا وهو ممتهن[2]

هذهِ الأبيات في مضمرها نسقًا ترفيًا أوصلهم إلى وهن العلاقات، فقد تزوج السلطان أبو الحسن بأبنة عمه (عائشة) ، وأنجبت له ولدين، (أبو عبدالله محمد، وأبو الحجاج يوسف)، ولكن أطماع الترف جرته إلى الزواج بنصرانية تدعى (ثريا) وقد أنجبت له ولدين أيضًا، وكانت النصرانية ترجو أن ينتهي الملك لأحد ولديها، وحاولت النصرانية بشتى المحاولات لتحقيق مطامعها بالملك لولديها، إلى أن جعلت أبا الحسن ينذر زوجته (عائشة) وولديها، و وضعتهم في برج قمارش أمنع أبراج الحمراء، مما أدى هذا العمل باضطرابات واختلافات وتذمر من المجتمع الغرناطي، فحاول حينئذ ابو الحسن قتل ولده أبو عبدالله محمد، ولكنهم اتصلوا بأعوانهم وأنصارهم لتفادي هذا الأمر، وعندما خرج أبو الحسن

(١) ينظر انثى العنكبوت تاكل رجلها عند التزاوج، مجلة الرياض – العدد١٥٨٩٠، ٢٠١١م.
(٢) ديوان ملك غرناطة (يوسف الثالث)، تح ، عبد الله كنون، دار سعد مولاي الحسن، المغرب تطوان، ط١، ١٩٥٨م.، ١٦٤ .

لقتال ملك قشتالة، استغلّ ابنه أبو عبدالله محمد الموقف وعاد وجلس مكان أبيه وأقفل أبواب المدينة على أبيه، فأطاعه الشعب وقد فرّ أبوه بنفسه إلى ملقه [١]، هذا التكالب على الزوائل وتقديم المطامع على أقرب الأرحام ، هو وهن العلاقات الذي أشار إليه النسق القرآني إذ وضعوا القوانين الإلهية جانبًا ، وركنوا إلى التكالب على الدنيا، إلى أن وصل الحد في التكالب على الترف ، ووهن العلاقات بفساد العقيدة إلى الاقتتال على الملك والسلطان وهذا ما وجدناه في الفتنة التي نشبت بين أولاد عبد الرحمن الداخل ، إذ كان عبد الرحمن الداخل قد استقر في ولاية عهدهِ على ابنه هشام الأصغر من سليمان الملقب –هشام الرضا– ؛لأنه كان أكثر كفاءة منه، وأفضل في كثير من المواطن فشبَّت حينها حسكة الحسد، وحين موت عبد الرحمن وعودة هشام إلى قرطبة بايعه العوام ورجال الدولة ، فغضب سليمان لذلك، وأعلن ثورته وجهز جيشًا وتوجه به نحو أخيه هشام في قرطبة والتقيا في جهيان وتقاتلا قتالًا شديدًا انتهت بهزيمة سليمان وفرارهِ[٢]، ومن جهة أخرى نرى المعتضد الذي قتل ابنه البكر إسماعيل بيديه؛ ظنًا منه أنّه مُتآمر عليه[٣]، هذا الوهن بالعلاقات قد أشار إليه القرآن الكريم في قصته قابيل وأخيه هابيل، فأدى فساد العقيدةِ في قلب قابيل ، و تراكم السلوكيات الضالة إلى توهين رابطة العلاقة بأخيه هابيل، وضاقت بهِ حسكة الحسد إلى أن تقاتل مع أخيه على السلطان والمقبولية في الجاه، مع أنّ الأرض بوسعها كانت لهما وهما الوريثان، فلا يقل ملك الواحد عن نصف الأرض فما يريدُ أكثر؟!، ونرى التحاسد والتنافس ، والغيرة بين الملوك والأمراء أيضًا[٤]،ولكن طمع الترف الخارج عن كل حد جعله

(١) ينظر شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، راتبة أحمد ابراهيم أبو لبدة، إشراف أ.د. وائل أبو صالح، قدمت هذه الرسالة إستكمالًا لمتطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين ، ٥٧–٥٨.

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، محمد ابن عذاري، تح.ليفي بروفنسال، مكتبة الصادر،٢، ٦١–٦٢.

(٣) ينظر تاريخ العرب المسلمين في أسبانيا، ستانلي لين بول، ترجمة؛ علي الجارم، تح. د. عبد الباقي السيد عبد الهادي، الدار المصرية اللبنانية ، ١٦٣.

(٤) ينظر تاريخ أسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام (في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)، لسان الدين ابن الخطيب، تح. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت – لبنان، ط٢–١٩٥٦، ٢٤٤.

لا يرى سوى الفساد والإفساد فجر بقلبه إلى هذه النتائج، وهذا ما صورته لنا وحدة النسق لآيات القرآن الكريم، والمقصود بوحدة النسق للآيات القرآنية هي التحام موضوعات السور القرآنية ، واتحاد معانيها للوصول إلى مقصود واحد يعبر عن ذلك المراد [١]، وهذا ما وحدته لنا المنظومة القرآنية في قراءتها لنسق فساد العقيدة في بوابة وهن العلاقات، ومن نماذج هذا النسق القصيدة التي وجهها المعتضد لأبيه بعد خصومته معه، والذي يعتذر فيها عمّا بدر منه من مجون وترف ولكن أباه لم يحتويه ويقبله ولم يأخذ قوله بالحسبان :

أَطَعتُكَ في سِرّي وَجَهريَ جاهِدًا ... فَلَم يَكُ لي إِلّا المَلامَ ثَوابُ
وَأَعمَلتُ جُهدي في رِضاكَ مُشَمِّرًا ... وَمِن دونِ أَن أَفضي إِلَيهِ حِجابُ
وَلَمّا كَبا جَدّي لَدَيكَ وَلَم يَسُغ ... لِنَفسي عَلى سُوءِ المُقامِ شَرابُ [٢]

ثم يظهر شدة قسوة والده معه، وقد نفذ صبره منه :

وَقَلَّ اِصطِباري حينَ لا لِيَ عِندَكُم ... مِنَ العَطفِ إِلّا قَسوَةٌ وَعِتابُ
فَرَرتُ بِنَفسي أَبتَغي فَرجَةً لَها ... عَلى أَنَّ حُلوَ العَيشِ بَعدَكَ صابُ [٣]

وفي نهاية القصيدة تكشف لنا الأنساق القرآنية المتمثلة بالنموذج القرآني قابيل واخيه هابيل والذي ذكره الله في كتابه الكريم قائلا : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي

(١) ينظر وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها وطرق دارستها، رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدارسات القرآنية، ١٤٢٨هـ، عدد ٣ ، ١٣٩.
(٢) ديوان المعتضد ، ١٠٩ .(الطويل)
(٣) ديوان المعتضد ، ١٠٩ (الطويل).

فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾[1]. اثبت هذا النسق أنّ الترف هو الذي أنتج لنا وهن العلاقات في العائلة الواحدة ، وهذا ما كان بين المعتضد وأبيه ، وأنّ الإسراف والإفراط هو الذي أولد هذا التفكك :

إذا كانت النُعمى تُكَدَّرُ بِالأَذى ... فَما هيَ إِلّا مِحنَةٌ وَعَذابُ
وَلا تَقبَضَنْ بِالمَنعِ كَفّي فَإِنَّهُ ... وَجَدِّكَ نُقضٌ لِلعُلا وَخَرابُ[2]

بذرة الترف هي من أشجرتْ هذا الوهن القائد إلى فساد العقيدة ، إذ فكك قانون الله في العلاقات الأسرية ، وهذا ما أبرزته النسقية القرآنية في طرح نظرية بيت العنكبوت ، التي جعلت من أواصر القلوب التي توغلها الترف وهنًا واضمحلالًا لعلاقاتهم، فنرى نظام مملكته قد بُنِيَ على هذا الوهن ، و"لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت"[3] فما كاد يبين أنّ فساد العقيدة المهيمن عليه أوصله إلى هذا الوهن .

ومن سلسلة حلقات نسق فساد العقيدة أيضًا هي :(تحول حب الشهوات إلى أيديولوجيات [عقائد]) :

والمناط من هذا التحول هو انتقال هذه الشهوات من حب مكنون بالقلب إلى عقيدةٍ مبرومةٍ على شهوات الترف، مما سبب سلوكًا مفسدًا للعقيدة متجذرًا في كل طبائعهم وواقعهم ، فتحول حينها السلوك من حب إلى إتباع وطاعة لتلك المفسدات التي سببها الترف، وهذه الانتقالة من مرحلة الحب إلى الإتباع المُفسد للعقيدة في منظومة النسق ، تتم بخطوات متتالية متتابعة وبالتدريج بحسب قانون النسق، وهذا هو فن الاستدراج الشيطاني لإتباع الشهوات، فالوصول إلى هذه المرحلة لا يأتي بخطوة واحدة، بل خطوات تتبعُ بعضها البعض، ولذلك قال الله تعالى في محكم كتابهِ الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[4]، وهذهِ

(١)سورة المائدة ، الآيات : ٢٧ ، ٣١.
(٢) ديوان المعتضد ، ١٠٩ (الطويل).
(٣) نهج البلاغة ، ٦٨.
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٦٨.

الحصيلة الشيطانية التي يستدرج بها إبليس المترفين بنظام الخطوات ، أو ما نسميه بالنسقية، إذ يبدأ بهم بأن يُعلِّق قلوبهم بهذهِ الشهوات، ثم يكاثرها عليهم من كلِ حدبٍ وصوب بالكمِّ والنوع ، ثم يجعلهم يتفاخرون بما أترفوا فيه ، فيغرّهم بهذهِ المنظومة التي أوصلتهم بتتابع خطواتها لنسق فساد العقيدة ، فعندها تم التحول من حبّ إلى أيديولوجيا مشحونةً بالاتباع والطاعة والانصياع وراء الترف المفرط، وما هذه الخطوات إلا مقدمات لنتائج محبطة اختصرها لنا المؤرخ الإسباني خوسيه أنطونيو كونده بوصفهِ بإتباع وتتالي الانغماس بالمترفات الذي أدى بتجذر هذا النسق في كل سلوكياتهم، فيقول كونده : "سقطت العرب وهوت عندما نسوا فضائلهم ومبادئهم التي جاؤوا بها، وأصبحوا على قلوبٍ متقلبةٍ تميلُ إلى الخفة والمرح والإسترسال بالمترفاتِ والشهوات"[1]، فكانوا كما قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[2]، أطّرت لنا هذه الآية القرآنية الخطوات الشيطانية المتمثلةِ بالمقدمات في إضاعتهم المبادئ الإسلامية ، وانغماسهم بالشهوات فجرَّ ذلك إلى الإتباع فكانت النتائج السقوط من القمّةِ وذلك قوله فسوف يلقون غيا، وقد شهد بهذه السلوكيات مؤرخ الأندلس ابن خلدون في مقدمتهِ قائلًا : " أذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات ، وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ، ولا تزال في انتقاص إلى أن يخرج الملك من أيديهم ، ويتبدل به سواهم ليكون نعيا عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهم من الملك وجعل في أيديهم من الخير ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾"[3]، ما كان في الجَنان من ترفٍ مفسدٍ للعقيدةِ كشفه النسق القرآني للعيان عن طريق أبياتهم، فنلمس تحول الحب إلى أيديولوجيات تحوي في بطائنها الاتباع والإنقياد والطاعة للشهوات والترف ، وهذا ما كشفه لنا النسق القرآني

(١) عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط١– ١٩٧٩م، ١١٠.

(٢) سورة مريم ، الآية : ٥٩.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٤ ،١، ١٤٤.

في مضمراتِ ألفاظهم، فنجد يوسف الثالث يتحول عنده الحب إلى عقيدة متبعة يصنع من أجلها كل شيء، حتى يصل إلى مرحلة الإذلال الأقصى فيضع نفسه أسيرًا للهوى ، وفاديًا لنفسه في سبيلهِ ومرغمًا خديهِ بالتراب تحت وطأةِ المحبوبة ، وكل ذلك لإرضاء ترف الشهوةِ المكتنز بين أضلعهِ ، والمُتفلتتِ من شدقاتِ شفاههِ، فيفصح بذاك قائلًا :

حقاً ألفتُ السُّهد فيك مع الضنا ورضيتُ ذُلي في الهوى بسؤالك
وقنعت بالتمليك طوعًا للهوى شغفًا وحبًّا أن أفوز بمالك
وهضمت حق المجد وهو ممنع ورضيتُ قتلي أن رضيتَ بذلك
وبسطتُ خدّي أن رضيتَ بوطئه
أهنأ بعيش مسعف بوصالك[1]

ونراه في موطن من القصيدةِ نفسها يؤكد هذا المضمون قائلًا :

مرغتُ خدي رغبة لك في الثرى ونشبت كفي في فضول ردائك[2]

ولم يكتفِ بهذا الحد إذ وصل به التحول في فساد العقيدةِ إلى عبادة الهوى، ويفتخر أنّه عابدٌ لهواهُ وشهواته، فيقول :

إن رغبتم فرغبتي في رضاكم أو حكمتم فأمركم لامتثال
أنا عبد الجمال نعتًا ووصفا ووجودي بعين ذاك الخلال[3]

تجلت حقيقة هذهِ الأبيات في قولهِ تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[4]، وعضَّد ذلك المضمون في سورة الجاثية قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ

(١) ديوان يوسف الثالث ، ٨٩ (الكامل).
(٢) المصدر نفسه ، ٨٩ (الكامل).
(٣) ديوا يوسف الثالث ، ٩٨ (الخفيف).
(٤) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1]، أي " (أفرأيت) يا محمد (من اتخذ إلهه هواه) أي اتخذ دينه ما يهواه ، فلا يهوى شيئا إلّا ركب ؛ لأنّه لا يؤمن بالله، ولا يخافه، فاتبَّع هواه في أموره، ولا يحجزه تقوى، عن ابن عباس والحسن وقتادة ، وقيل: معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلت الدلالة على أنّ العبادة تحقّ له، فإذا استحسن شيئا وهواه اتخذه إلهًا ، وكان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه، رمى به ، وعبد الآخر، عن عكرمة، وسعيد بن جبير ، وقيل: معناه أفرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده، ويرتكب ما يدعوه إليه ، ولم يرد أنّه يعبد هواه، ويعتقد أنّه تحق له العبادة ؛ لأنّ ذلك لا يعتقده أحد "[2] فتحول الإله في قلبه إلى شهوةٍ يعبدها وهو مُنقادٌ إليها ، فلا يرى ، ولا يسمع ، ولا يعقل سواها، وكذا الحال مع إنموذجٍ آخر من شريحة الملوك ، والأمراء في الأندلس وهو المعتضد الذي أظهر جماليات الفخر والشدة في ظاهر نصوصه ، ولكن في مجهر النسق القرآني كُشفت المضادات لتلك الجماليات، فنراهُ مع شدتهِ وصرامته وبطشِ سلطانهِ ، لا يستطيع الوقوف أمام سلطان الشهوة فباتت عنده عقيدة مُتبع لها بها تأمرُ وتنهى عليه، وذلك قولهُ الذي به يصرح عن ضعفهِ وانقيادهِ لتلك الشهوات :

لله در الحب ماذا يصنع ... يعنو له ملك الزمان ويخضع
للحب سلطان عظيم شأنه ... مهما يقل قولا فقلبي يسمع[3]

فوقع في شباك منظومة الترف ، واصطادته شهواتها بشباكها المفسدةِ للعقائد والضمائر، ويعترف بأنهُ فريسة سهلة، طُعمُها الشهوات :

وكنتُ الدهر أصطادُ المعالي ... فقد أصبحت من صيدِ الملاحِ[4]

لا يقف عند حد الضعف والانقياد بل يتعدى لأن يصف تسليمه وإتّباعه وطاعته

(١) سورة الفرقان ، الآيتان : ٤٣ – ٤٤ .
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت–لبنان ،٩، ١٣٠ .
(٣) ديوان المعتضد ،١١١ (الكامل).
(٤) ديوان المعتضد ، ١١١ (الكامل).

لأوامر المحبوب كطاعته وهو مسلم لله :

يجور على قلبي هوىً ويجير ... ويأمرني إن الحبيب أميرُ
أطوع لأمرِ الحب طوع مسلمٍ ... وإن كان من شأني إبا ونفورُ[١]

ويجعل عذاب قلبهِ وجحيمه عشقه ، وعبادته لذلك الإله الذي انعقدت شهوة حبه على قلبهِ ، فجعل عرش الله وهو القلب[٢] عرش لها، والنظر لها هي جنة، فيقول :

رعى الله من يصلى فؤادي بحبهِ ... سعيرًا وعيني منه في جنة الخلدِ[٣]

هذا ما وصفه لنا المولى جعفر بن محمد الصادق حينما سألهُ المفضل بن عمر عن العشق قال ﷺ: " قلوب خلت عن ذكر الله، فأذاقها الله حب غيره"[٤].

هذا الانقياد اللا شعوري في أنثروبولوجيا الملقي جعل من قلبه مدعاة للفساد في تراتبية متتابعة ، ارتكزت بواقعهِ المترف المحيط به، والنص المشحون في مضمراتهِ النسقية لذلك الحال والسلوك، وهذا ما لمسناهُ أيضًا في النصوص الشعرية لابنه المعتمد بن عباد، إذ التسقَ به هذا المرض فبات حتى طيفهُ مشحونًا بهذهِ السلوكيات، ففي إحدى غزواته إشتكى الفراق والبعد عن المحبوبة فزاره طيفها في إحدى الليالي وأخبر وزيره بذلك قائلًا : " وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرتني من توجعي، ومكنتني من رضابها ، وفتنتني بدلالها وخضابها"[٥]، وبعدها ينشد قائلاً :

أباح لطيفي طيفها الخدَّ والنهدا ... فعض به تفاحة واجتنى وردا
وألثمني ثغرًا شممت نسيمه ... فخيل لي أني شممت به ندا

(١) المصدر نفسه ، ١١٤ (الطويل).
(٢) ينظر بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تح.عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط٢– ١٩٨٣م ، ٥٨ ، ٣٩.
(٣) ديوان المعتضد ، ١١٠ (الطويل) .
(٤) الأمالي، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، تح. قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة للنشر والتوزيع، ايران – قم، ط١ – ١٩٩٦ ، ٧٦٥.
(٥) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ٤ / ٢٧٩.

ولو قدرت زارت على حال يقظةٍ ولكن حجاب البين ما بيننا مدا[١]

ويردف الكلام منغمسًا بشهوة طيف محبوبته طالبًا منها السقيا، ومتغزلًا بمحاسنها، قائلًا :

سقى الله صوب القطرِ أم عبيدة كما قد سقت قلبي على حره بردا

هي الظبي جيدًا والغزالة مقلة وروض الربى فوحا وغصن النقا قدا[٢]

التحول الأيديولوجي في مضمار العقيدة الفاسدة أوصله إلى هذا الإتباع ، إلى أن يصل بهذا الحال بأن جزئه التكويني تعلق بهذهِ الشهوة فيكاد يكون معدوم الحياة معلول البدن عند الفراق، وهذا ما أثبته بقوله :

القلب لج فما يقصر والوجد قد جلَّ فما يستر

والدمع جارٍ قطره وابل والجسم بالٍ ثوبه أصفر[٣]

هنا تجلت حقيقة التنافر بين الجماليات التي أظهرها في انسجام نصهِ ، وبين هذا الانطباق الحاصل ، والتتابع في السلوكيات وتحولها إلى عقائد مجبولة على الترف بأنْ وصل الحال بهم في بعدهم عن الترف يخفتُ وهجهم، وهذه حقيقة سلطانهم الواهي، إذ يرسمون عروشهم وملكهم بصورةٍ عظيمة ، وحقيقتها سرابٌ بقيعة يحسبها الظمآنُ للشهوات ماء ، وما هي إلا صروحٌ واهية بُنيت على رمال متحركة، وهذا ما جسدهُ ابن رشيق حين عرض عليه زميله ابن شرف الدخول للأندلس، فقال منشدًا :

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخًا صولة الأسد[٤]

فأظهر المجهر النسقي القرآني فساد العقيدة ، والقلوب المجبولةِ على الشهوات وتهافت الشموخ المزعوم أمام هذه الحقائق.

(١) ديوان المعتمد ، ٧ (الطويل).

(٢) ديوان المعتمد ، ٧ (الطويل).

(٣) المصدر نفسه ، ١٥ (السريع).

(٤) سيرة أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تح. شعيب الأرنؤوط محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٩- ١٩٩٣، ١٨ / ٥٨٣.

أخذنا هذا التحول في منظومة نسق فساد العقيدة إلى حلقة أخرى من سلسلة هذا النسق وهو (الدين المترف) :

إذ كشفت الدلالة النسقية القرآنية في واقعية أبياتهم الشعرية أن الترف سرى في عروقِ مفاهيمهم الإسلامية ، وما يدينون به من طقوس، وهذا ما وجدناه بمطابقة أنثروبولوجيا مُلقي النص مع الواقع المحيط به، بمعنى آخر أنّ مفاهيم الدين جاوزت حد الاعتدال عندهم فشرّعوها على طقوسٍ مطابقةٍ لعقائدهم المترفة ، فالمجون والغناء وانغماسهم في الشهوات التي سرت عبرهم إلى رعيتهم فبالراعي تصلح الرعية وبهِ تفسد، والعلاقة بين الشعوب وقادتها هي علاقةٌ طردية كما أشار لذلك المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون ، فلا يوجد جماهير بلا قائد والعكس صحيح وما جرى فيهِ [القائد] سرى إليهم[١]، فاستخدموا الدين ذريعة لتسويغ الترف بكل جوانبه ، فأصبحت اعتقاداتهم وعباداتهم وتوجاهتهم كُلها مُؤّدلجةً نحو منظومة الترف ، فباتت وحدة القياس عندهم في الحياة هي منظومة الترف ، وباضمحلال هذه المنظومة تضمحل أمانيهم ويعشو وهجهم ، وسرى ذلك الدين المترف في طقوسهم، فنرى مفهوم الزهد عندهم هو الابتعاد عن الترف ، والاعتكافُ عن الملذات ، فصار البرزخ عندهم هو الترف ، فأما أن تملك كل شي لتعلو ، أو تفقد كل شيء لتدخل في الزهد وتنجو؟!، ونسوا أنّ حقيقة الزهد ليس أن لا تملك شيء، بل أن لا يملكك شيء[٢]، فما فائدة أنهّم فقدوا كل شيء ، ولكن قلوبهم وعقولهم وتوجهاتهم معلقةً بالترف وحياة الترف، وهذا ما جسَّدوه في أبياتهم الشعرية فعندما نرى المعتمد يذمُّ الدنيا وما فيها في بعض أبياتهِ زاهدًا في ملذاته هذا ليس لأنّه اكتفى من شهواتها وهجرها، وإنّما بساط الملك والسلطة سُحب من تحت قدميهِ قسرًا وذلًّا، بعدما حُبس في سجن "أغمات"، وتشردت عائلتهُ وبناته يعملن بالغزلِ ليجمعن قوتهن[٣]، فعندما ما رأى حالهُ وحال عائلته فتألم وقال

(١) ينظر سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط١-١٩٩١ ، ٢٢٧.
(٢) ينظر ميزان الحكمة ، ٤ / ٢٩٩٠
(٣) ينظر المعتمد بن عباد (الملك الجواد الشاعر المُرزَّا)، عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ ، ٧٠.

حين رأى هذا الحال :

غَريب بِأَرضِ المغربينِ أَسيرُ ... سَيَبكي عَلَيهِ مِنبَرٌ وَسَريرُ
وَتَندُبُهُ البيضُ الصَوارِمُ وَالقَنا ... وَينهلُّ دَمعٌ بينَهُنَّ غَزيرُ
سيَبكيهِ في زاهيه وَالزاهرُ النَدى ... وَطُلّابُهُ وَالعَرفُ ثَمَّ نَكيرُ
إِذا قيلَ في أَغماتَ قد ماتَ جودُهُ ... فَما يُرتَجى لِلجودِ بَعدُ نُشورُ[1]

إلى أن يقول :

مَضى زَمَنٌ وَالمُلكُ مُستأنِسٌ بِهِ ... وَأَصبَحَ مِنهُ اليَوم وَهوَ نَفورُ
بِرأيٍ مِن الدهرِ المُضلِلِ فاسِدٍ ... مَتى صَلُحَت لِلصالِحينَ دُهورُ
أَذَلَّ بَني ماءِ السَماءِ زَمانُهُم ... وَذُلُّ بَني ماءِ السَماءِ كَبيرُ
فَما ماؤُها إِلّا بُكاءً عَلَيهِمُ ... يَفيضُ عَلى الأَكبادِ مِنهُ بُحورُ[2]

فتراهُ ينعى ما فاته من الترف ولم ينعَ ما فاتهُ من دينه الحقيقي، فأصبح الترف له دينًا ، ويبقى متأملًا أن يعود لما فيه ؛ وذلك لما عُقد في قلبه من ترف وما أسبغته عليه الشهوات من فساد عقيدة وسلوك مترف، فيقول:

فَيا لَيتَ شِعري هَل أَبيتنّ لَيلَةً ... أَمامي وَخَلفي رَوضَةٌ وَغَديرُ
بِمُنبَتَةِ الزَيتونِ مورِثةُ العُلى ... يُغَنّي حَمامٌ أَو تَرِنُّ طُيورُ
بِزاهِرِها السامي الذُرَى جادَهُ الحَيا ... تُشيرُ الثُرَيّا نَحوَنا وَنُشيرُ
وَيلحُظُنا الزاهي وَسعدُ سعودِهِ ... غيورَينِ وَالصَبُّ المُحِبُّ غَيورُ
تُراهُ عَسيرًا أَو يَسيرًا مَنالُهُ ... إِلّا كُلّ ما شاءَ الإِلَهُ يَسيرُ
قَضى اللهُ في حِمصَ الحِمامَ وَبُعثِرَت ... هُنالِكَ مِنّا لِلنُشورِ قُبورُ[3]

يأمل لو ليلة يعود به الزمان لعاد لما كان، وهذا ما أُجبل عليه قلبه، وذلك ما كُشف في

(١) ديوان المعتمد ، ٩٨. (الطويل)
(٢) ديوان المعتمد ، ٩٩ (الطويل).
(٣) المصدر نفسه ، ٩٩ (الطويل).

قولهِ تعالى : ﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾[١].

نرى خلاصة الدين المترف والتعريف بطقوسه المترفة متجسدة في قولِ خاتم النبيين محمد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم، وهذا القول جامعٌ مانعٌ مُفصِلٌ لكلِّ مُختلجاتِ هذهِ الفقرة، فقال الذي لا ينطق عن الهوى واصفًا نسق فساد العقيدة للدين المترف بأنّ هؤلاء " بطونهم آلهتهم، ونساؤهم قبلتهم، و دنانيرهم دينهم، وشرفهم متاعهم، .....مساجدهم معمورة من البناء، وقلوبهم خراب عن الهدى، علماؤهم شر خلق الله على وجه الأرض " [٢].

وكذا قول أمير البُلغاء علي بن أبي طالب ﷺ: " همّتهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم، أُولئك شرّ الخلق، لا خلاق لهم عند الله"[٣].

هذا التنسيق الحديثي يقابله النسق القرآني المستنبط من نصوصهم الشعرية في باعث الدين المترف لنسق فساد العقيدة، فخلف نافذة الجمليات المشحونة في نصوصهم الشعرية : بوصف القصور، وكثرة المال ، وغزل النساء ، نجد أنّ هناك سلوكيات أحاطت ذلك النص فولجت في قلوبهم فلم تعد جماليات مجردة إنّما أصبحت دين يتعبدون به وينقادون خلفه.

عندما يصبح هوى ملأ البطون آلهة تتخذ ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾[٤]، فيكون الجواب حينها :﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[٥]،

وحولوا القبلة في قلوبهم فصارت نساؤهم هي قبلتهم، ﴿ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾[٦]، فالتذلل والتخضع والوهن أمام النساء جعلت القلوب مملوكةً موجهةً نحوهن، فينهارون أمامهن ويركعون أمام حسنهن، وباتت الاموال دينًا لهم ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾، ولكن الدين

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٢٨.
(٢) بحار الأنوار ،٢٢ / ٤٥٣.
(٣) كنز العمال في السنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تح. الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط١- ١٩٨٩ ،١١ / ١٩٢.
(٤) سورة الجاثية ، الآية : ٢٣.
(٥) سورة الحجر ، الآية : ٣
(٦) سورة النمل ، الآية : ٢٣.

الحقيقي يكون حصنًا من كل مكروه، ولكن عندما جعلوا دينهم دنانيرهم كانت النتيجة : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[1]، فكان حصيلة نتاج نسق القرآن بترجمان الحديث النبوي ، هو نتيجةٌ مضادةٌ لذلك الوصف المرونق والمُزخرفِ بفني الجماليات اللفظية والصور الشعرية ، فعندما تتضافر الآيات القرآنية لتشكيل موضوع ، يكون ذلك التنسيق مجهرًا لنصوص الملوك والأمراء الشعرية ، وتكون النتيجة قراءة جديدة تستقرئ الواقع الخارجي للنص والملقي مضافًا إليه النصف الآخر لسلوكيات الملقي الذاتية المستبطنة لهالة الترف عند الملوك والأمراء في الأندلس.

نسق فساد العقيدة قد نشأ من بؤرة الترف التي طغت على واقعهم في كل جوانبِهِ فبات عندهم سلوكهم على مستوى الأفعال والأقوال، وما هدر منهم عن طريق الأبيات الشعرية كان حاويًا على كمٍ هائلٍ من فساد العقيدة ، وهذا ما جرف ألسنتهم للنطقِ بهذه الصور التي عدت قبل النقد الثقافي ، وحاكمية النسق القرآني بالجماليات ، نعم قد يكون النسق اللفظي ذا رونقٍ وطلاوة ، ولكن النسق عندما يتحول من اللفظ ؛ ليحاكي أنثروبولوجيا المُلقي مع النص وبرؤيتها القرآنية قد تكون النتيجة عكسيةً ، أو مساويةً مطابقة، وما لمسناهُ في نسق فساد العقيدة كان عكسيًا بواقيعتهِ عما تراءى بالألفاظ.

المبحث الثاني: نسق أفول النظام وسراب قوته

النظام هو ذلك العنصر الرابط بين حلقتين، الحلقة الأولى هي الطبقة الحاكمة ، والحلقة الثانية هم المجتمع، فكما بان أثر الترف في الحلقتين الأولى والثانية ، فقد سار هذا التأثير في النظام الرابط للحلقتين، وقد وظّفت منظومة القرآن الكريم هذا النسق المتجلي في نصوص الملوك والأمراء الشعرية والحائم في باحة الترف ، وبما أنّ طبيعة الأنظمة هي تابعة لواضعها فإنَّ التأثير الذي طرأ على الطبقة الحاكمة طرأ عليه ، وكلما زاد الترف اقترب النظام من التفكك والانهيار، فنسق أفول النظام ، وسراب قوته يحاكي واقع النظام الذي تأثر بالترف، ومع الطبائع التي اكتسبها النظام عند دخوله في هذه الدوامة ، فعند الوصول إلى القمة

(١) سورة الحاقة ، الآيتان : ٢٨-٢٩.

في سلم الترف ومظاهره يكون المترف قد اقترب من السقوط ، كذلك ما كان من ملوك الأندلس ، وأمرائها حين أسندوا أنظمتهم على الترف وجعلوا غايات تلك الأنظمة هي الخلود في باحة الترف ، فكانت النتائج هي أفول تلك الأنظمة وسراب قوته، ومن طريق هذا النسق المكنون في أبياتهم الشعرية سيتضح أثر الترف الواقع على أنظمتهم والمؤدي إلى سقوط ممالكهم ، و المنهج في قراءة هذا النسق القرآني الثقافي يعتمد على تراتبية الآيات والنماذج القرآنية كما عرضنا إلى ذلك مسبقًا فيما سلف من الأنساق، وقد تجلى هذا النسق في عدة مواطن من حيث النص ومُلقيه والواقع المحيط بهما، فمن ذلك ما نراه من (المصانعة الاقتصادية وعشوائية الأنفاق) .

وما نعنيه من ذلك ما خلفه الانفاق المبعثر والذي في غير موضعه على نظام اقتصاد المجتمع، وتصنعوا في ذلك الانفاق والإعطاء فجعلوه مصيدة لاستقطاب عباد الدراهم ، كما وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[1]، وهذا ما نجده في تصريح المعتضد وأبيه في قصيدته التي كتبها لأبيه، يقول فيها :

فو الله ما أبغي بذلك غير أن ... تحلى بجدوى راحتيك رقاب
ويهدي إليك الناس دون تصنع ... محبة صدقٍ لم يشبه كِذاب
فكلُّ نوالٍ لي إليك انتسابه ... وأنت عليه بالثناءِ مثاب[2]

هذه المصانعة في المنظومة الاقتصادية كانت الغاية منها ذلّ رقاب الناس لهم، فأفسد بذلك النظام الإقتصادي الإلهي القائل : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾[3] و ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[4]، نسق أفول النظام وسراب قوته يكمن في هذه الأبيات في توجيه النظام المالي في غير موضعه ، والاختفاء خلف قناع التصنُّع والتكلّف في العطاء، وهذا ما فعلته بلقيس وقومها مع سليمان أرادوا أن يكسبوا ودَّهُ ويُركِعُون رقبته إليهم

(١)سورة النساء ، الآية : ٣٨.
(٢)ديوان المعتضد ، ١٠٩ .(الطويل)
(٣)سورة المعارج ، الآية : ٢٤
(٤)سورة الذاريات ، الآية : ١٩.

بالبذخ ؛ لذلك رفض سليمان هذا النظام الذي رسموه ، بمعنى آخر هذا نظامكم الذي أملاه عليكم الترف فتظنون أنّ كل الرقاب تفرحُ وتنساق لما تستدرونه عليهم ، فقالت بلقيس ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[1] هذا هو النظام المترف الذي طرحته بلقيس، وأمّا نظام الله المتمثل بسليمان فهذا منهاجه ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾[2] ؛ لأنّه يعلم أنَّه إذا قبل هذه المِنَّة فقد أفل نظامه وصار ملكه إلى السراب .

ويتكرر ذلك المضمون، فنرى عبد الرحمن يصل أحد الراتعين على ترفه ويمن عليه قائلًا :

لا غرو أن كنت ممنوعا ومحروما ... إذ غبت عنا وكان العرف مقسوما
فلن ينال امرؤ من حظه أملا ... حتى يشد على الإجهادِ حيزوما
فهاك من سيبنا ما كنت تأمله ... إذ حمت فوق رجاء الوِردِ تحويما[3]

هذا النظام الذي قد تبعهُ المترفون حتى يدوم ملكهم ، ويعلو مجدهم ولكن واقع ذلك هو الأفول وسراب القوة ، بالمقابل هناك نظام أسسه الله وطرح له نموذج في قرآنه الكريم، وهو نظام ذو القرنين[4] الملك الصالح الذي أتاه من كل شيء سببا، وملكه الله زمام أمور

(١)سورة النمل ، الآية : ٣٥.
(٢)سورة النمل ، الآية : ٣٦.
(٣)الحلة السيراء ،١ / ١١٩ .
(٤)قد اختلف المفسرون حول صفته هل هو نبي أو عبد صالح، فقال مقاتل بن سليمان، وابن كثير، بأنه نبي، فاعتقدوا أن قول "مكنّا له" هو التمكين الكامل لمرتبة النبوة، ومكنه من قل شيء، والرأي القائل بأنه عبد صالح أو مَلك من الملوك الذين اختارهم الله في خلافة أمور الناس فهو رأي الجهور، وهذا ما أكده قول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إذ قال " لم يكن نبيا ولا ملكا ولكنه كان عبدا أحب الله فأحبه الله، ونصح لله فنصحه الله " وهذا القول هو الأقرب عند أغلب المفسرين والمؤرخين، فذو القرنين كان عبد صالح متبعا لحدود نصح لله في السراء والضراء وحتى في تسنمه الملك وأقطار الأرض . / ينظر / ينظر تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تح. أحمد فريد، دار إحياء التراث، بيروت–لبنان، ٢ / ٢٩٩–٣٠١ ، وينظر البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير(ت٧٧٤ هـ) ، تح. علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، ط١–١٩٨٨، ٢، ١٢٢ . ينظر ، تفسير الصافي ،٣ / ٢٥٩ ، أيسر التفاسير، لجابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣–١٩٩٠ ،٢ / ٢٨٤ ، وتفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهيد

الناس والذي كان يعتمد النظام الإلهي فـ ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۝٨٧ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[1]، سار ذو القرنين على تأسيس نظام يطمح للسمو والرقي في ميدان الأنظمة الحاكمة ، إذ لم ينظر لبساط الملك على أنّه مُهرةٌ جميلة يترنح عليها ، إنّما أحكم لجامها وسيرها بما يبقي الموازين المجتمعية في حد الإعتدال، برمج نفسه ومجتمعه على الزهد ، وأنّه لا يبني مملكته على مادة الترف ومظاهرها فقال ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[2] فبنى نظامه على ما مكنَّه ربّه وليس ما مُكن به من متع الدنيا، فمن كان يملك مشارق الأرض ومغاربها حريٌّ بهِ أن يكون الترف دعامة نظامه، ولكنه علم أنّ النظام إنْ بُنيّ على الترف فإنّ نهايته الزوال والاضمحلال.

ومن جانب آخر ما خلفه الترف على نظامهم مع مجتمعهم جعله نظام أرستقراطيًا ، وهذا الاستبداد الاراستقراطي فكَّك الأواصر المجتمعية وحولها إلى الطبقية ، وكلما ما زاد النظام الأرستقراطي من استبداده اقتربَ من أفوله ، وفكك أواصره المجتمعية وهذا (استبداد النظام الارستقراطي وتفكك اواصره) .

فعندما يظن أنّه وصل إلى قمة السيادة ، فإنّ سقوطه حان، وما أنبأ عن ذلك إلّا نصوصهم المشحونة بالنظام الأرستقراطي، فمنها قول ابو القاسم محمد بن إسماعيل :

ولا بد يومًا أن أسود الورى ولو رد عمرو للزمان وعامر[3]

وقول يوسف الثالث وهو ينيط آمال العباد به، وهو من يفرجها ويحقق الآمال :

تناط بي الآمالُ وهي عسيرة فيفرجها خرق تدر فواضله[4]

الخازن، تح. عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ،٣، ١٧٥ ، و ذو القرنين الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان، دار القلم، دمشق -سوريا، ط٢-١٩٩٤ ،٤٥، صحيح البخاري ،٦ / ٣٨٣. و كمال الدين وتمام النعمة ، ١ / ٤٢١-٤٢٢

(١)سورة الكهف ، الآيتان : ٨٧-٨٨.

(٢)سورة الكهف ، الآية : ٩٥.

(٣)الحلة السيراء ،٢ / ٣٨.(الطويل)

(٤)ديوان يوسف الثالث ، ٩٣ (الطويل)

وكذا محمد بن محمد بن يوسف ثالث ملوك بني نصر ، قد نفى أنّ على هذه البسيطة أشرف منه وأعلى منزلة، فيقول :

أوامري في الناس مسموعة وليس مني في الورى أشرفا[١]

ونرى ابن رزين يجعل محك الحياة والموت في بعض الصفات ، ثم يشهد لنفسه بأن يتصف بها، فيقول :

أنا ملك تجمعت في خمس كلها للأنام محيي مميت[٢]

هذه الادعاءات التي خلفها عليهم انغماسهم في الشهوات والترف ، أدخلتهم في نظام الأرستقراطيين وخاضوا في ميدانه فكان مَثلهم في هذا النسق هو مثل الذي حاجَّ إبراهيم[٣]، فعندما آتاه الله مُلكا وبعض الصفات قال أنا أحيي وأميت، وأنا بيدي كل شيء وأفعل كل شيء، وأنا ربكم الأعلى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾[٤]، وذلك راجع إلى ما أترفه فيه، فقد ورد في الأخبار أنّه "جبار مترف"[٥]، وهذا ما خلَّفه من آثارٍ على نظامه وجعله أرستقراطيًا، كذلك فعل بطبقة الأمراء والملوك في الأندلس، فقد جرهم أثرَّ الترف لأن يصنعوا من الناس عبيدًا

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ،١ / ٥٤٦.

(٢) الحلة السيراء ،٢ / ١١٠.

(٣) هو نمرود الذي استخف الناس من قبل ودعاهم إلى عبادة الأصنام، فكانت الخطوة الأولى في أفوله وسراب قوته حين كسر الأصنام نبي الله إبراهيم ﷺوبرهن أنهم ما هؤلاء ينطقون، فحينها سجن نمرود إبراهيم عليهم السلام و ساق الناس إلى جمع الحطب لحرق إبراهيم وظن أنه هو قادر على أن يفعل ما يشاء لأنه بيده الملك، فيحيي ويميت، ولكن الحقائق أن الأنظمة مهما سمت فهي تتهافت أمام الحدود الإلهية، فأفل نظامه حين أبهتُ أبراهيم بالحجاج، وأصبحت قوته وملكه وترفه سرابا حين ابتلاه الله بميتة مذلة له، وهي أن سلط الله عليه أضعف مخلوقٍ عنده وهي البعوضة فدخلت في رأسه وجعلته لا يقدر على شيء وأذلته لمدة أربعين يوم حتى مات ، وينقل أيضاً أن حادثة الحجاج حدثت حين كسر إبراهيم الأصنام فأحضره إلى السجن وأراد إحراقه وفي أثناء ذلك حدثت المناظرة، راجع البرهان في تفسير القرآن ،١ / ٥٢٨ ، وتفسير مقاتل بن سليمان ،١ / ١٣٨ ، و ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت – لبنان،٣ / ٢٥.

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨.

(٥) الدر المنثور ،٣، ٢٥.

حين اعتقدوا أنّ كل شيء بيدهم، وظنّوا ما ﴿ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾[1]، وقد وصف أمير المؤمنين هذا الأفول والسراب بقوله : "الظلمُ يزلُ القدمَ و يسلبُ النعمَ و يهلكُ الأُمَمَ."[2] وقال "مَنْ جارَ أهلكَهُ جَورُهُ"[3] و "مَنْ عَمِلَ بالجَوْرِ عَجلَ اللهُ هلكَه"[4] و "راكبُ الظلمِ يكبُو بِهِ مركبُهُ "[5]، التأكيد على أنّ النظام إذا دخل في باحة الترف والظلم فإنه أقتربَ من الأفول وكانت قوته سرابًا .

وهذا الأفول والسراب جسدته أبياتهم ، فالفخر بالسلطان الدائم بزعمهم وقوتهم العظيمة باءت إلى إضمحلال، وهذا يوسف الثالث يقول بعد ما أبعدوه عن سلطانه وعزه ووطنه :

مشوق بأقصى الغرب طال اغترابه ... وبالشرق أهليه شكى وصحابه
تحكم فيه الدهر مُذ شطَّ دارُه ... وجانبه مَن كان يغشى جنابه
وذمَّ ذِمامًا طالما قد رعيتهُ ... وطالبه مَن كان يرجو طِلابه[6]

ونرى نسق الأفول في موضع آخر يشتكي فيه حنينه لما خلف من جمال سلطة وطبيعة :

سَبيكتنا الغراء جادتكِ أدمُع ... وإلا فَوَكافُ من المزن ناضح
فأنت إلى كل النفوس حبيبةٌ ... كأنك رُوح والنفوس جوارح
بمغناكِ أهواء النفوس تجمعت ... فما أملٌ إلا لقصدك جانح
هواؤك مِعطار وتربك منتقى ... وماؤك سلسال وعيشك صالح
أبوح بما حُملتُ منك من الأسى ... ويا رب مغلوب له الوجد بائح[7]

هذه الحسرات التي تخفي خلفها نسق أفول النظام وسراب قوته ، وهذا ما لمسناه في

(١) سورة الكهف ، الآية : ٣٥
(٢) ميزان الحكمة ،٢ / ١٧٧١-١٧٧٢ .
(٣) المصدر نفسه ٢ / ١٧٧١-١٧٧٢ .
(٤) المصدر نفسه ٢ / ١٧٧١-١٧٧٢ .
(٥) ميزان الحكمة ، ٢ / ١٧٧١-١٧٧٢ .
(٦) ديوان يوسف الثالث ، ١٤ (الطويل).
(٧) المصدر نفسه ، ٣٠ (الطويل)

الفخر وهم في قوة نظامهم واقبال الدنيا، ولكن سراب القوة وأفول النظام واضح لكل من استشرى بالترف.

منهج هذا النظام بتعاقب أثر الترف عليه يولد الجشع وعدم الاكتفاء وقباحة السلوك، ظنًّا منهم أنّ ذلك يوسع من ترفهم ويُبقي على نظامهم السياسي ، ولكن هذا هو (سراب التوسع في النظام السياسي واقترابه من الأفول) .

هذا الوهم الذي أضفاه عليهم الترف من جشع في التوسع صورته لنا أبياتهم الشعرية في مضمار هذا النسق ، إذ لم يكتفوا بما فيه من ترف ، فغزو واحتلوا وقتلوا فأصبح ديدنهم سفك الدماء ، والفتك بالآخرين والاعتداء على حقوقهم، فبرمجوا نظام حكمهم على هذا الأساس الذي خلفه الترف عليهم وعلى أنظمتهم ، ويتباهون بذلك ويعدّونه من الشجاعة، وتظافر هذا المضمون في أبياتهم ، فذا الحكم الربضي يستعرض قوة نظامه في الفتك بالآخرين من الأعداء ، ويبني نظامه على انتهاك الأهل والعِرض :

رأيتُ صدوع الأرض بالسيف راقعا ... وقدْمًا لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائلْ ثغوري هل بها اليوم ثغرةٌ ... أبادرها مستنضي السيف دارعا
وشافهْ مع الأرض الفضاء جماجما ... كأقحاف شرْيان الهبيد لوامعا
تُنبِّئْك أني لم أكن في قراعهم ... بوانٍ وقدًما كنت بالسيف قارعا
وأني إذ حادوا جزاعًا من الردى ... فلم أكُ ذا حيد من الموت جازعا
حميتُ ذماري فانتهبت ذمارهم ... ومَنْ لا يحامي ظل خزيان ضارعا[1]

فيرى أنّ قوة نظامه مستندةً إلى هذا الفتك والهتك ، ولكن هذا ما أضفاه عليه الترف ؛ لأن السيف والحروب إذا كانت للدفاع عن مجتمعاتها وأنظمتها كانت نعم السيوف، ولكن إذا كان مبدؤها الاستحواذ على حياة وحقوق الآخرين فهذا هو جشع الترف، ومن يحسب ذلك قوةً فقد وقع في مصيدة السراب التي ترمي بنظامه إلى الأفول، وكذلك قول المعتضد :

(١) الحلة السيراء ،١ / ٤٧. (طويل)

لقَد حُصِّلتِ يا رُندَهْ ... فَصِرتِ لِـمُلكِنـا عِقدَهْ
أَفـادَتـنـاكِ أَرمـاحٌ ... وَأسيافٌ لـهَا حِدَّهْ
وَأَجـنـادٌ أَشِـدَّاءٌ ... إِلَيهِم تَنتَهي الشِدَّهْ
غَدَوتُ يرَونني مَولى ... لـهُم وَأَراهُمُ عدَّهْ
سأفني مُدَّةَ الأَعداء ... إِن طالَت بـيَ المُدَّهْ
وَتَـبـلى بـي ضَلالَتُهُم ... لِيَزدادَ الـهُدى جِدَّهْ
فَكَم مِن عُدَّةٍ قَتَل ... تُ مِنهُم بَـعـدَها عُدَّهْ
نَظَمتُ رُؤُوسَهُم عِقدًا ... فَحَلَّت لَـبَّـةَ السُدَّهْ[1]

يستلذون ويستمتعون بهذه المعاني ؛ لأنّهم عدوا أنظمتهم بكل ما أوتوا من قوة ليدوموا على ما هم فيه ، وقتل العدة بعد العدة ، وينظمها كأنّها عقدٌ، حتى حين أراد وصف نظامه المستبد وصفه بمظهرٍ من مظاهر الترف، وعلى قدر ما خلفَّ الترف من آثار قست في قلوبهم بدأوا يستمتعون بالقتل والفتك والدماء أكثر من الملذات والعادات في الترف، فنرى عبد الرحمن بن معاوية يصف لذته في اصطياد أعدائه وقتلهم أكثر من صيد الطيور والفرائس، فينشد قائلًا :

دعـني وصيـد وقـع الغـرانق ... فإن همي في اصطياد المارق
في نفق إن كان أو في حالق ... إذا التظت لوافح الضوائق[2]

وعلى المضمون نفسه تلاه يوسف الثالث قائلًا :

تعوض من لبس الحرير دروعًا ... وأبدلَ من كأس المدام نجيعًا
ومن مائل القد المنعم ذابلًا ... تساقي ولاقى في الدماء شروعا
ومن ظِلّ خفاق الظلال مهدل ... هجيرًا يظلُّ السرب فيه مَروعا
ينافحُ ما بين الثنايا بهبة ... يعودُ بها الصحبُ الأبيُّ مطيعا
فيا لثرى يسقى المصاعُ ترابه ... مواكبَ طوعَ الملتقى وجُموعا

(١) ديوان المعتضد ، ١١٦ (مجزوء وافر)
(٢) الحلة السيراء ،١ / ٤٩.

ومن رائق الخدين حَدَّي مذرَّبٍ يغادر حزب الدراعين صريعا[1]

وكذا يقول :

وعوضت عن ليل الصبابة والهوى بأرعن جرار تخب جحافله[2]

في هذه المضامين وواقعها اقتربوا من المثال الذي طرحه القرآن الكريم ، وهو المَلك الذي عاصر الخضر و موسى عليهما السلام[3] ، فذاك جرَّته أطماعه للطغيان على مجتمعه وعلى ما يحيطه من بلدان، وقد رسم نظامه على الغصب والسلب والقتل، وهؤلاء جرَّتهم أطماع الترف ليتسعوا فيه ، ولو كان ذلك على الدماء والقتل والفتك، فهذه الأبيات وغيرها لشعراء الملوك والأمراء رسمت لنا حلقات النظام الذي ساروا عليه ، فوجدنا عبر النسق القرآني [أفول النظام وسراب قوته] مدى تأثير الترف ومظاهرهِ عليهم ، ولمسنا ذلك من اقتران مظاهره في نظمهم وشدة الفتك والهتك في بناء الأنظمة، فجعلهم الترف لا يكتفون بما هم فيه فجيَّشوا الجيوش ، وأعدَّوا العدّة وقتلوا وسفكوا الدماء واحتلوا البلدان حتى أراهم الترف أن قبائحهم لوحة فنيّة جميلة، وعدّوا كل ذلك قوة ودوامًا لملكهم ، ولكن الحقيقة أنّهم رسموا خط الهلاك بأيديهم حين نسقوا نظامهم الاقتصادي والسياسي والإجتماعي على هذا الديدن ، فأفل نجم السطوة وانكشف سراب القوة ، وتبعثرت حلقات ذلك النظام الذي بُني على مخلفات الترف والأثر الذي أركسه في نظامهم، ومن جهة آخرى جعلوا المسيحيين وغيرهم يستثمرون هذه الفرصة للسيطرة على الأندلس وسحب البساط منهم حين أسقطوا آخر قاعدة لهم وهي غرناطة، وما ذلك إلّا حصيلة مخلفات الترف الذي بالغوا بها فزادت من أطماعهم وجشعهم ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[4] ﴿ وأَحَلُّوا

(١) ديوان يوسف الثالث ، ١٧٠ (الطويل)

(٢) ديوان يوسف الثالث ،١١٦. (الطويل)

(٣) ورد في بعض المصادر أن هذا الملك كان في جزيرة الأندلس وتحديدا في قرطبة، والقرية التي أبت أن تضيفهما الجزيرة الخضراء، وقيل هو أول من ظهر الظلم على يديه في البحر ، ينظر البحر المحيط ، أبو حبان التوحيدي الأندلسي، تح.الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ ،٦ / ١٣٩.

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٧٨.

قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[1] ، فحين أفلت وتلاشت الحلقة الرابطة بين المجتمع والطبقة الحاكمة المتمثلة بالنظام سقط حينها طرفا ذلك النظام المجتمع والحكام، فالنظام هو القاعدة وحين نخرت آثار الترف تلك القاعدة سقط سقف الأندلس وأفل نجمها : ﴿ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ إِذ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[2]، لأنهم ﴿ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾[3]، وما يوضح ذلك النسق هي أبيات رثاء الأندلس التي دوَّنَتْ أفول النظام الأندلسي الذي بُني على الترف من قِبل الملوك والأمراء في الأندلس، ولعلَّ نونية أبي البقاء الرندي تكون بمثابة لسان الحالِ لما خلفه الترف من آثار على هذهِ الأنظمة وساقها إلى الأفول وسراب القوة، فمنها قوله :

وَهَـذِهِ الـدَّارُ لَا تُـبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلَا يَـدُومُ عَـلَى حَـالٍ لَهَا شَانُ
أَيْـنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِن يَمَنٍ ... وَأَيْـنَ مِـنْهُمْ أَكَـالِيلٌ وَتِيجَانُ؟
وَأَيْـنَ مَـا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ ... وَأَيْـنَ عَـادٌ وَشَـدَّادٌ وَقَحْطَانُ؟
أَتَـى عَلَى الْـكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ... حَـتَّى قَـضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
بِـالْأَمْسِ كَـانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ ... وَالْـيَوْمَ هُـمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ[4]

هذا واقع ما أضفاه الترف من آثار على أنظمتهم، والغرض من أبيات الشكوى التي أوردنا بعضها آنفا هو لتدهور حالهم وأفول نجم السلطة من سماء ترفهم .

سرت آثار الترف على الفرد والمجتمع والنظام في الأندلس ، وكان ذلك عبر انغماسهم في الترف وميلهم إليه ، وما كشفه النسق القرآني في أبياتهم الشعرية التي نسجت من واقع مترف ، مضافًا إليها ملقي مترف فما كان من ذلك التمازج إلّا أن ينتج نصًّا مترفًا يكون علامة على واقع الملوك والأمراء الشعراء في الأندلس، كما أظهرت لنا تلك الأنساق النماذج التي طرأ عليها أثر الترف في القرآن الكريم ، وكيف أنّ العواقب كانت مطابقة لواقع الملوك

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٨.
(٢) سورة النحل ، الآية : ٢٦.
(٣) سورة الواقعة ، الآية : ٤٥.
(٤) أبو البقاء الرندي-شاعر رثاء الأندلس، د.محمد رضوان الداية، مكتبة سعد الدين- مكتبة لسان العرب، بيروت-لبنان، ط١-١٩٧٦ و ط٢- ١٩٨٦ ، ١٤٣-١٤٤.

والأمراء في الأندلس، فانغمس الاثنان في الترف، استدرجتهم مظاهره، والأثنين أهلكهم الترف، لعلَّها تختلف السيناريوهات ولكن المقدمات والنتائج واحدة

نتائج البحث

١- قراءة النصوص الأدبية بالمنهج النقدي الثقافي ، وبرؤية قرآنية ثقافية خالفت القراءات الأدبية السابقة السائدة المقتصرة في استظهار دلالة النصوص على مبدأ الجماليات، وأحادية الرؤية النقدية ذات المنهج المُنغلق على زجِّ الأدب بين الفن والفلسفة، وأثبتت الأنساق في ميدان الثقافة أنّ القراءة للأدب يجب أن تكون محيطة بالنص ، ومُلقيه ، والواقع الذي أسهم في بناء ذلك النص وأضفى تأثيراتِهِ على ملقيه ، فكانت قراءة أبيات الملوك، والأمراء في الأندلس المتضمنة لظاهرة الترف في هذا البحث على وفق الرؤية النسقية الثقافية القرآنية ، التي تُخرج ما وراء جماليات الألفاظ والدلالة ، وتطابقها مع الواقع المحيط بذلك النص ومُلقيه لتنتج لنا حقائق ما أضمرت وسارت عليه تلك النصوص.

٢- إنَّ الترف ظاهرة تجتاح الأفراد والمجتمعات عندما تنسلخ القناعة ، وتترادف النِّعم بغياب الشكر ؛ فيكون المترف بين التفريط والإسراف وهذا ما ظهر في الاندلس بما احتوته من اسباب مادية ، وأخرى معنوية من ظاهرة الترف ، وهذه الحاضنة أثرت بشكل وآخر على أفراد ذلك المجتمع.

٣- بانَ أثر الترف في الاندلس عن طريق السلوكيات والثقافات في الأقوال والأفعال، وأقرب من برزت فيهم هذه الاثار في الاندلس هم الطبقة الحاكمة المتمثلة بالملوك والأمراء.

٤- تظافر أسباب الترف بكلِّ جوانبه أفسد عقائدهم وتوجهاتهم ، وهذا ما كشفته الأنساق القرآنية الثقافية المضمرة خلف جماليات أبياتهم.

٥- انصياع الطبقة الحاكمة ومجتمعهم للترف أدى إلى أفول النظام وسراب قوته ؛ لأنّ النظام هو الحلقة الواصلة بين الحكام والمجتمع ؛ لذا سرى أثر الترف في شتى أنظمة الأندلس من وهن اقتصادي ، وتفكك اجتماعي ، وانهيار سياسي ، أدى كلّ ذلك إلى أفول

النظام في الأندلس وسراب قوته.

٦- خالف المفهوم القرآني لظاهرة الترف المفهوم السائد الذي عدَّ الترف مُلازما للغنى والثراء ، والذي تبرز مظاهره في الجانب الحسي للإنسان فقط ، في حين أنّ المفهوم القرآني لا يشترط تلازم الترف بالغنى ، لأنّ الترف في مفهومه لا يتوقف على الجوانب الماديّة إنّما يتوغل في الجوانب المعنوية للأنسان ، فمظاهر الترف التي تبرز في الخارج ما هي إلّا انعكاس لصورة الترف المكنون في الداخل .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ)، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.

٣. الأمالي، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، تح قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، مؤسسة البعثة للنشر والتوزيع، ايران – قم، ط١ – ١٩٩٦م.

٤. انثى العنكبوت تاكل رجلها عند التزاوج ، مجلة الرياض – العدد١٥٨٩٠ ، ٢٠١١.

٥. الأنساق الأسلوبية المُهيمنة على السور القرآنية – دراسة تطبيقية على السور المكية، خالد توفيق مزعل الحسناوي، إطروحة قدمها إلى مجلس كلية الآداب جامعة الكوفة لنيل شهادة الدكتوراه – ٢٠١٢م.

٦. الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي – نسق القبيلة انموذجا، بووشمة معاشو، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد المعاصر، جامعة جيلالي ليابس– كلية الآداب واللّغات والفنون – قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٨-٢٠١٩م.

٧. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي ت (١١١١هـ)، تح عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ط٢– ١٩٨٣م.

٨. البحر المحيط، ابو حبان التوحيدي الأندلسي ت (٧٤٥هـ)، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢.

٩. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير ت (٧٤٧هـ)، تح علي شيري ، دار إحياء التراث، بيروت لبنان، ط١–١٩٨٨م.

١٠. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، محمد ابن عذاري، تح ليفي بروفنسال، مكتبة الصادر.

١١. تاج العروس، محمد مرتضى الواسطي الزبيدي ت (١٢٠٥هـ)، تحَ على شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١ ١٩٩٤م.

١٢. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٤.

١٣. تاريخ أسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام (في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام)، لسان الدين ابن الخطيب، تح. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت – لبنان، ط٢–١٩٥٦م.

١٤. تاريخ العرب المسلمين في أسبانيا، ستانلي لين بول، ترجمة؛ علي الجارم، تح د. عبد الباقي السيد عبد الهادي، الدار المصرية اللبنانية

١٥. التراث وأنساق الثقافة – قراءة في كتاب الأغاني ،د. رائد حاكم الكعبي ، مؤسسة رسلان للطباعة والنشر ، سوريا–دمشق ، ط١–٢٠١٨م.

١٦. تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهيد الخازن، تح عبد السلام محمد علي شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

١٧. أيسر التفاسير، لجابر بن موسى الجزائري ت (١٤٣٩هـ)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٣-١٩٩٠م.

١٨. تفسير جامع البيان، لمحمد بن جرير الطبري ت (٣١٠هـ)، تح الشيخ خليل الميس، دار الفكر للطباعةِ والتوزيع.

١٩. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تح أحمد فريد، دار أحياء التراث، بيروت-لبنان .

٢٠. تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط٢- ١٩٩٩م

١٢. جدلية الخفاء والتجلي - دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط١-١٩٧٩م.

٢٢. الحلة السيراء، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي المعروف بابن الأبار، تح حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط٢— ١٩٨٥م.

٢٣. خطبة الغدير النص الكامل، محمد باقر الانصاري، دار الفكر .

٢٤. خيوط العناكب لتصنيع الدروع ، بحث من قبل موقع ببان (فكر وفن) ، بتصرف ١٣-٠٨-٢٠٢١.

٢٥. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان.

٢٦. الدلالة النسقية (تأطير نظري)، دكتور أمجد حميد الفاضل، بحث منشور في مجلة الباحث، جامعة كربلاء-كلية التربية-قسم اللغة العربية ٢٠١٧م.

٢٧. ديوان المعتضد بن عباد، تح الدكتور محمد مجيد السعيد، مجلة المورد، الجمهورية العراقية، المجلد ٥، العدد٢، ١٩٧٦م.

٢٨. ديوان المعتمد بن عباد (ملك أشبيلية)، تح الدكتور حامد عبد المجيد والدكتور احمد احمد بدوي، مراجعة الدكتور طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، ط٢، ١٩٩٧م.

٢٩. ديوان ملك غرناطة (يوسف الثالث)، تح عبد الله كنون، دار سعد مولاي الحسن، المغرب تطوان، ط١، ١٩٥٨م.

٣٠. ديوان نازك الملائكة (شظايا ورماد)، نازك الملائكة، دار العودة، بيروت – لبنان، ١٩٩٧م.

٣١. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ط١–١٩٧٩م.

٣٢. ذو القرنين الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان، دار القلم، دمشق –سوريا، ط٢–١٩٩٤م .

٣٣. السياق والأنساق – ما السياق وما الأنساق ، محمد عبد الكريم الحميدي ، جامعة المدينة العالمية – قسم اللغة العربية ، ٢٠١٣م.

٣٤. سيرة أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨هـ)، تح شعيب الأرنؤوط محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٩–١٩٩٣:١٨: ٥٨٣.

٣٥. سيكولوجية الجماهير، غوستاف لوبون، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط١–١٩٩١م.

٣٦. شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، رتبة أحمد ابراهيم أبو لبدة، إشراف أ. د. وائل أبو صالح، قدمت هذه الرسالة إستكمالاً لمتطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس – فلسطين.

٣٧. شاعر رثاء الأندلس ، أبو البقاء الرندي ت (٦٨٤هـ)-د.محمد رضوان الداية، مكتبة سعد الدين- مكتبة لسان العرب ، بيروت-لبنان ، ط١-١٩٧٦ و ط٢-١٩٨٦م.

٣٨. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت (٢٥٦هـ) تحقيق عز الدين ضلي وعماد الطيار وياسر حسن، مؤسسة الرسالة ناشرون .

٣٩. الطابور الخامس، أحمد جابر حسنين، دار الكتب المصرية - الناشر مجموعة العربية للتدريب، القاهرة- مصر، ط١-٢٠١٣م

٤٠. عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط١- ١٩٧٩م.

٤١. العين، لأبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي ت (١٧٤هـ)، تح الدكتور مهدي الخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، ط٢.

٤٢. القاموس المحيط، الفيروز آبادي ت (١٤١٥م)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط٨، ٢٠٠٥م.

٤٣. القراءة النسقية سلطة البنية و وهم المحايثة، أحمد يوسف، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط٢٠٠٢م.

٤٤. كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ت (٣٨١هـ) تحقيق السيد محمد كاظم الموسوي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان .

٤٥. كنز العمال في السنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تح الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٩م.

٤٦. لسان العرب، جمال الدين محمد ابن منظور ت (٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم - إيران ١٤٠٥هـ.

٤٧. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت (٥٤٨هـ)، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت–لبنان.

٤٨. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل ابو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٥هـ.

٤٩. المعتمد بن عباد (الملك الجواد الشاعر المُرزَّا) ، عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.

٥٠. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا ت (٣٩٥هـ)، تح عبد السلام محمد هارون،مركز النشر – مكتب الاعلام الاسلامي، ط١ ١٤٠٤هـ.

٥١. ميزان الحكمة، محمد الريشهري ، دار الحديث، قم، ايران، ط١، ١٣٧٥هـ.

٥٢. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تح.ونشر دار الحديث، قم – ط١– ١٤١٦هـ.

٥٣. النسق الثقافي، يوسف عليمات، عالم الكتب الحديث، أربد–الأردن، ط١– ٢٠٠٩م.

٥٤. النسق القرآني – دراسة في المفهوم والوظيفة، دكتورة نور مهدي كاظم، جامعة وراث الأنبياء كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم، مجلة العميد – المجلد التاسع – العدد الخامس الثلاثون،٢٠٢٠م.

٥٥. النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح، قارة مصطفى نور الدين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه لكلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، ٢٠٠٩–٢٠١٠م.

٥٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد المقري التلسماني ت (١٦٣٢م)، تح الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت–لبنان، ١٩٦٨م.

٥٧. النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط٣ –٢٠٠٥م.

٥٨. نهج البلاغة – المُختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي) ت (٤٠٦هـ)، تح السيد هاشم الميلاني، مكتبة العتبة العباسية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية، كربلاء المقدسة – العراق.

٥٩. وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها وطرق دارستها، رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدارسات القرآنية، ١٤٢٨هـ، عدد ٣ .

٦٠. ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي، د.سامي شهاب أحمد، دار غيداء للنشر، ط١، ٢٠١٢م.

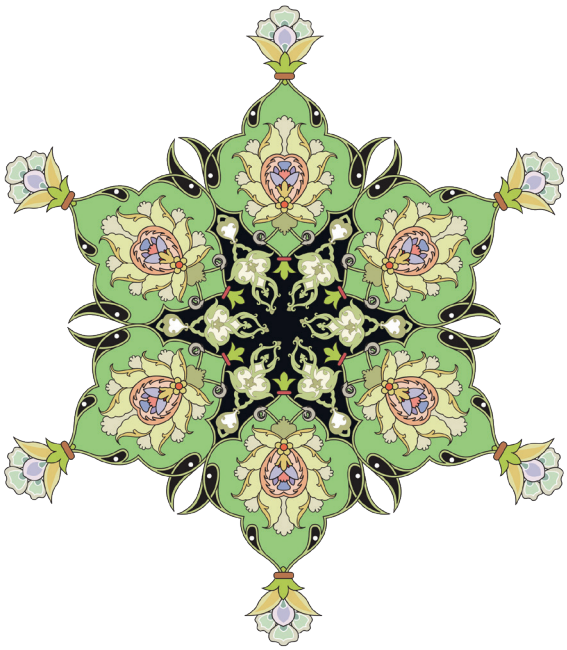

وبشر الصابرين